التَّناصّ القرآنيّ في دُعاء السِّمات

قراءة في ضوء نحو العلاقات ـ المعايير النَّصّيَّة

أ.د. عماد جبّار كاظم داود

جامعة واسط / كُلية التَّربية للعلوم الإنسانيَّة

Quranic intertextuality in "Dua`a As-Simat "

Reading in Light of Relationships - Textual Standards

Prof. Dr. Emad Jabbar Kadhem Dawood

imadjabbar@uowasit.edu.iq

Wasit University - College of Education for Human Sciences

ملخص البحث

يمثِّل التَّناصّ مجالات متعدِّدة من الأنشطة المتفاعلة التي تقوم عليها ثقافة النَّصّ وعلاقاته بالنُّصوص، فليس من نصّ ألا وقد تناصّ في علاقة ما مع غيره من النُّصوص مماثلةً ومخالفةً، مشكِّلاً بذلك قيماً من إنتاجيَّة دالَّة. لقد تجلَّى التَّناصّ فَسَمَا معياراً من معايير النَّصِّيَّة، شأنه شأن أيّ معيار منها، ليس في تكوين النَّصّ فحسب، بل في مطالب تفسيره، وتأويل أنساقه أيضاً، حتَّى صار معياراً يتكافل مع سواه من المعايير النَّصِّيَّة الأخر، كالقصديَّة، والموقفيَّة، والإعلاميَّة؛ لفهم النَّصّ واستمرار دلالته النَّصِّيَّة.

وفي "دعاء السِّمات" من التَّناصّيَّة القرآنيّ، ما يجعل القارئ لا يقف على مساحة من النَّصّ الدُّعائيّ فحسب، بل كأنَّه يقرأ نصَّ حكايةٍ اتَّخذت من الأنساق القرآنيَّة أصول تجربة، ومرجعيّات تكوين، في غرض إنسانيّ سلك طريق الطَّلب، وصولاً برغبة إلى هدفٍ وغاية.

الكلمات المفتاحيَّة: التَّناصّ، النَّصّ، دعاء السِّمات، معايير النَّصِّيَّة، نحو العلاقات.

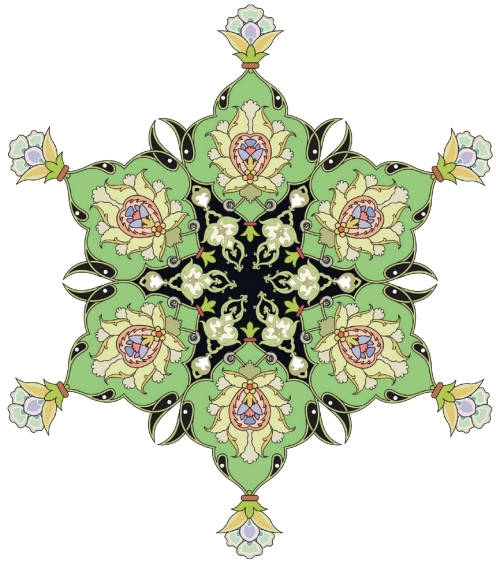

Abstract

Intertextuality represents multiple fields of interacting activities on which the culture of the text and its relations with the texts are based. It is not a text that has intercourse in some relationship with other texts similar and opposite thus forming values from the productivity of a sign. Intertextuality was manifested as one of the textual standards just like any standard of it not only in the composition of the text but also in the demands of its interpretation and the interpretation of its patterns as well until it became a standard that is interdependent with other textual standards such as intentionality stance and media. To understand the text and maintain its textual significance. In "Dua`a As-Simat" from the Qur'anic intertextuality what makes the reader not only stand on an area of the prophetic text but as if he is reading the text of a story that took from the Qur'anic systems the principles of experience and references for formation with a human purpose that pursued the path of request with a desire to a goal and an end.

Key words: intertextuality text attribute supplication textual criteria towards relationships

المقدِّمة

الحمدُ لله ربّ العالمينَ، والصَّلاة والسّلام على سيِّدنا محمد وآله الطَّيّبين الطَّاهرين، الذين جعلهم الله سبحانه مثالاً يُقتدى، ومناراً يهتدى.

وبعد،...

تتعاقد معايير النَّصِّيَّة خصائصها في التَّكوين النَّصِّيّ على نحو ذرّيّ، متعدِّد الأركان، متشابك الأطراف في شبكة من نص، ولا شكَّ، إذ ليس من معيار يأتي مؤطِّراً نفسه بجهاز نظر مفاهيميّ إلّا جرّ معه حشداً من مرجعيَّاتٍ، وأصول وثقافات، تحيل على أنفسها معرفيّاً مرةً، ونقديّاً أخرى، لا لتسكن نظاميَّة تجريديَّة راكدة، بل لتُعتمل في مجالات التَّحليل والتَّفسير والتَّأويل، متحرِّكة، استعماليَّة، تموج فيها مكوِّناتها، وتتواثق فيها مؤسّساتها، لا تكتفي بكشف سرّ النَّصّ ومكنوناته، أو فضّ خفاياه فحسب، بل لتقف على عتبات من إبداعيَّاته وإمكاناته الإنسانيَّة.

ومن هذه المعايير النَّصِّيَّة معيار التَّناصّ[1]، ذلك التَّعالُق/ التَّداخل النَّصّيِّ، الذي يكشف عن علاقات النَّصّ نفسه، وتفاعل أجهزته مع كيميائيّات النُّصوص الأُخَريات، ينتقي منها ما يشاء في رحاب الإنشائيَّة، دُررَها المعنويَّة، ويختار من خصائصها التَّكوينيَّة والأسلوبيَّة، ورُبَّما ارتشف منها غايتها القصديَّة في مرسلة نصِّيَّة إنتاجيَّة استقرَّت قنواتها في استراتيجيّاتها الأوَّليَّة، ثُمَّ تحوَّلت منها فكرة إلى بناءٍ معماريَّة ذاتيَّة تواصليَّة ذات روح، كي تستمر وهجاً، تتفجَّر كالشمس فيها معانيها الدَّلاليَّة.

إنَّ قراءة "دعاء السِّمات" تجهر بأنَّه يقوم على ثقافة من نصّ يجري على أنساق معرفيَّة من تناصّ قرآنيّ عالية مستوياته، رفيعة منازله، قد تداخلت فيه الجمل بالآيات الرِّبانيَّة، واشتبكت فيه الفقرات بالقصص والأحداث والحكايات والسُّنن التَّاريخيَّة، في طلب دعائيّ يشدو غايته بسبيل من التَّعظيم والتَّقديس، فكان لي أن أسرح بخاطري اليسير في نصّه الأخّاذ، لرّدّ أصول من ثقافته، لا على نحو مصادرة له، وأطارد رحيقاً من منابعه

(١) كنتُ قد أرجأت موضوع معيار "التَّناص" في أوراق: "نحو النَّصِّيَّة في دعاء السِّمات"، إلى بحثٍ مستقلّ؛ وذلك لقيم ما فيه من خصائص نحو التَّكوين النَّصِّيّ، وهذا الإجراء الآن هو ما نحن فيه؛ تلبيةً لدعوى تكميل تلك المحاور والأنحاء النَّصِّيَّة التي تقدّمت معالجتها في نصّ "دعاء السمات".

واقتباساته، في ضوء جهاز التَّناصّية ذلك الذي قرّرته مفاهيم النَّصِّيَّة معياراً لها، وأجازت له الانخراط في أركان توصيفاتها الإجرائيَّة، وأسَّست به فلسفة خاصَّة؛ إدراكَ أنواع النُّصوص واستيعابها.

ولكي يكون لي من ذلك منهج، جعلتُ محاور النَّظر في قنديلين وخاتمة، فكان القنديل الأوَّل في المفاهيم التي تشتغل فيها آليَّات النَّصّ إلى التَّناصّ، والقنديل الثاني، في التَّطبيق والإجراء، أمَّا الخاتمة فكانت محلًّا لأهمّ النَّتائج.

والحمدُ لله ربّ العالمين.

القنديل الأوَّل

في المفاهيم وجهاز النَّظر ـ جامعيَّة النَّصّ

من الوعي بإشكاليَّة النَّصّ/ الدَّال إلى الوعي بالتَّشكيل الدَّلاليّ في التَّناصّ:

تتجلَّى المفارقة والاختلاف في كلّ نصّ عند تحديد ذاته الواصفة[1]، إلا بفاعليَّات من ثنائيَّة القراءة والكتابة، فكلاهما يؤسِّس مزيجاً من ثقافةٍ، ويبني عالماً من أنساقها المعرفيَّة.

إنَّ النَّصّ حين يتموضع مدوَّنةً ثابتةً لا يعني انتهاءه؛ إنَّه هو التّأريخ/ المنجز الفكريّ نفسه[2]، كأنَّه إنسانٌ كتَبَ شيئاً، ولمَّا ينته بعدُ، منتظراً كتابةَ شيءٍ آخرَ، يمسك ريشته بيده، ويعتمل دواته بالأخرى، يدوِّن من نفسه على صحائف؛ لتكون نصّاً فيه، وهكذا دواليك لم تغب شمس، حتَّى يبزغ قمر.

لقد أحاطت المدوَّنات النَّقديَّة والألسنيَّة فكراً بإشكاليَّات النَّصّ، لتصل منه بالتَّساؤلات التي تشبكه، ومضمراتها وما تسعى إليه من بناء برامج، أو أهداف ومقاصد،

(١) ينظر: درس السيميولوجيا؛ رولان بارت: ٦٣.

(٢) في انفتاح من النص مقاربة بـ"الفعل البشري باعتباره أثراً مفتوحاً" يقول "بول ريكور": "تتوجه دلالة الفعل البشري،... إلى سلسلة لا متناهية من الـ "القراء" المحتملين. والحكام ليسوا هم المعاصرون، إنَّما هو التاريخ نفسه كما قال هيغل بعد شيلر Weltgeschichte ist Weltgericht (تاريخ العالم هو محكمة العالم). بتعبير آخر، الفعل البشري، كنصّ ما، أثرٌ مفتوح، دلالة، "معلّقة". ولأنَّه يفتح مرجعيَّات جديدة ويستمد منها موافقة جديدة، كذلك الأفعال البشرية، بانتظار تأويلاً جديدة ثبت في دلالتها. كلّ الأحداث وكلّ الأفعال الدالة مفتوحة،... الفعل البشري، بدوره مفتوح لكلّ من يعرف القراءة. يترتّب عن ذلك، أنَّ دلالة حدث ما هي المعنى الذي تعطيه إيّاه التأويلات اللاحقة،...". من النّص إلى الفعل: ١٥٢.

إلى جملة من سماتٍ، اتخذتها طرائق ومميزات لتوصيفه[1]، ثُمَّ استشعرت حرجاً بهذا المنتهى بدايةً في إشكاليَّات التَّناصّ، فما أنِ اعترفت بخطورة تحديد مفاهيم النَّصّ، ومجازفة الإقدام على ذلك[2]، حتَّى صارت أشدَّ حرجاً من تحديد مفاهيم "التَّناصّ"[3].

وقفتْ قراءةٌ تمسحُ ما تصبَّب من تلك المدوَّنة من عرَق، ليس ثمَّة قصور، ثُمَّ عانقتها؛ لتحكم الإرادة المعرفيَّة بالقول: إنَّ هذا ليس إلاَّ إدراكاً كبيراً جداً؛ لشموليَّة هذا المعطى، وتعدِّدية ذلك المبنى، ثُمَّ أخذت بيدها من حيثُ انتهت، لا لتنتهي من حيث انتهت.

إنَّ القراءة ثمَّة حين تنطلق من النَّصّ إلى تشكّلاته في التَّناصّ، لا يعني أنَّها أفقيَّة فحسب، بل هي تفاعليَّة تتضاعف قيمها المعرفيَّة مع أخرى عموديَّة[4]، إنهَّا تقارب مطارة صياد لفريسةٍ، أو رصد عالم جيولوجيّ لا ينفكّ يبحث عن أيّ من الجزئيّات والأدلَّة التي شكَّلت طبقات النَّصّ وميدانه، والأسباب التي دعت إلى ما كوَّن منه نتائج من سطحٍ ذي تضاريس مختلفة متنوِّعة؛ للوصول منها إلى تفسير مخصوص بالنَّظر والتَّأمُّل، ولا مريةَ في أنَّ هذا إنَّما يكون مبنيّاً على معارف وأدوات تعتمل متفاعلة؛ لهدف مقصود.

أقول: هل هذه الخطوط المتشابكة ـ أبجديَّة هذه السُّطور إلا مقاربة تناصّت بذاكرة من

(١) ينظر: "مدخل أولي إلى علم النَّصّ"؛ بضمن النظرية والنص؛ كيبيدي فارغا: ٦٢، وأسس علم لغة النص؛ مرجوت هاينه مان: ١١٩، ومدخل إلى علم لغة النَّصّ؛ فولفجانج هاينه مان: ٤ – ٧.

(٢) ينظر: مدخل إلى علم النَّص؛ زتسيسلاف واورزيناك: ٦٠، والتَّحليل اللُّغويّ للنصّ؛ كلاوس برينكر: ٢٨، وأسس علم لغة النَّصّ؛ مرجوت هاينه مان: ١٢٠، و١٧٠، و١٨٧– ١٩٠، ولسانيَّات النَّصّ؛ كيرستن آدمتسيك: ٧٥، و١١١، والقاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان؛ أوزوالد ديكرو، ترجمة منذر عياشي: ٥٣٣، والعلاماتيَّة وعلم النَّصّ، مجموعة بحوث مترجمة، منذر عياش: ١١٩، وأصول تحليل الخطاب؛ محمد الشاوش: ١/ ١٤٨، وبلاغة الخطاب وعلم النص؛ صلاح فضل: ٢٢٩، والنص الغائب؛ محمد عزام: ١٣، وتحليل الخطاب الشعري؛ محمد مفتاح: ١١٩، ونظرية النص؛ حسين خمري: ٤٣، وانفتاح النص الروائي؛ سعيد يقطين: ٥، و١٩.

(٣) ينظر: نظرية التناص؛ جراهام ألان: ١٠، ومدخل إلى التناص؛ ناتالي بييقي ـ غروس: ١٦، و١٠١، ونظريَّة النص؛ حسين خمري: ٢٥٣، وتحليل الخطاب الشعري؛ محمد مفتاح: ١٢٠، والنَّص الغائب؛ محمد عزام: ٢٨، وإشكاليَّة المصطلح؛ يوسف وغيلسي: ٣٩٠، والخطيئة والتكفير؛ عبد الله الغذامي: ٢٨٨، وانفتاح النص الروائي؛ سعيد يقطين: ٩٦، وآفاق التناصيَّة؛ محمد خير البقاعي: ٨٦، والتناص، نظرياً وتطبيقياً؛ أحمد الزعبي: ١١، والتَّناص في الخطاب النّقدي والبلاغيّ؛ عبد القادر بقشي: ١٥.

(٤) ينظر: دراسات في النص والتناصية: محمد خير البقاعي: ٩٢، وآفاق التناصيَّة؛ محمد خير البقاعي: ١١٩.

نظر وقراءة لنصوص سابقة؛ للوصول إلى مساحة فكريَّة في تقارب ما، كتبت عنوانها للنفاذ منه إلى قراءة وإجراء، إنَّها إذن جملة من نظرات: اقتباسات، واستشهادات، وإحالات، اعتُمِدَت؛ لإنتاجيَّة نصّ محوريّ، يحتوي على فكرةٍ، تحاول أن تُسنِّن نفسها في وصفٍ ما، يعالج موضوعاً كان قد تُصوِّرت أركانه مسبقاً، ورسمت استراتيجيّاته قَبْلاً؛ لبَعْد.

التَّناصّ "intertexte"، والمعايير النَّصِّيَّة الأخريات:

التَّعالق النَّصِّيّ ـ ثقافة النُّصوص وتفاعل المرجعيّات في نصّ:

أحسنَ الأستاذ "دي بوجراند" حين فعل أن لمَّ شتات معايير نصِّيَّة النَّصّ، في سبعة كُلّيّات أصوليَّة، جعل منها شروطاً لإنتاجيَّة النَّصّ واستعماله[1]، يقول "دي بوجراند": "إنَّ هذه المعايير تقوم بدور قواعد تأسيسيَّة للاتصال من خلال النُّصوص، فهي تقدِّم تعريفاً وتكويناً لشكل السُّلوك الذي يُعدّ اتصالاً من خلال النُّصوص. وإذا لم يلتزم المرء بهذه القواعد، فإنَّ هذا اللون من السلوك سينهار"[2]، ولا يتحقّق له من توصيف النَّصِّيَّة معنى.

ووجد أنَّ ثمَّة "قواعد تنظيميَّة" لا بدَّ من الالتزام بها أيضاً في قراءة نصِّيَّة النَّصّ "مهمتها ضبط الاتّصال من خلال النُّصوص، وليس تقديم تعريف له"[3]، قال: "في وسعنا تصوُّر ثلاث قواعد تنظيميَّة، هي: جودة النَّصّ التي تعتمد على استعماله في الاتصال مع بذل أقلّ قدر ممكن من الجهد من قبل المشتركين، وفعاليَّة النَّصّ، وهي تعتمد على ترك النَّصّ انطباعاً قويّاً، وعلى خلقه شروطاً مفصلة لبلوغ هدف ما. والقاعدة التَّنظيميَّة الثالثة هي ملاءمة النَّصّ، وتعني التَّوافق بين مقام النَّصّ من جهة ووسائل المحافظة على معايير النَّصِّيَّة من جهة أخرى"[4].

وهذا المعايير النَّصِّيَّة ما أن اقْتُرِحَت حتَّى أضحت مقولات نظريَّة إجرائيَّة في آن معاً، لتستند إليها كلّ قراءة تحليليَّة، ومحاولة تفسيريَّة للنصّ من أجل فهم النَّصّ واستيعابه، ومن

(١) ينظر: النَّصّ والخطاب والإجراء: ١٠٣– ١٠٥، ومدخل إلى علم لغة النَّصّ؛ ديبوغراند، ودريسلر: ٢٥.
(٢) مدخل إلى علم لغة النَّصّ؛ ديبوغراند، ودريسلر: ٣٥.
(٣) المصدر نفسه: ٣٦.
(٤) المصدر نفسه: ٣٦– ٣٧. وينظر: النص والخطاب والإجراء: ١٠٦– ١٠٧.

هذه المعايير معيار التَّناص "intertextuality"، وهو المعيار السّابع من المعايير النَّصِّيَّة[١] تلك التي تتموضع في النَّصّ، ويكوِّن هو منها نفسه؛ ليتّصف بهوية النَّصِّيَّة وأهدفها المرجوّة، فما التَّناصّ؟، وما أهمِّيّته[٢]؟.

كان لشيوع واقع الافتراض المسبق في الفكر اللِّسانيّ، أمالي على مقولات النَّظر النَّصِّيّ، أخذت عتباتُها علاماتِ استفهام كثيرة في: "ما الذي تفترضه مسبقا قطعة من الكتابة؟، ما الذي تزعمه؟، ما الذي يجب أن تزعمه حتَّى يكون له دلالة؟"[٣]. يقول "كلر": حين أقول بأنَّ مناقشتي ليست مفهومة إلا من خلال مساحة من الخطاب مسبقة ــ أي من خلال مشروعات وأفكار أخرى تقوم مناقشتي أخذها وتقديمها واقتباسها ورفضها وتحويلها ــ فإنّني أطرح مشكلة التَّناصّ، وأؤكّد الطّابع التَّناصيّ لأيّ بناء لغوي"[٤].

الافتراضات المسبقة والمعرفة من جانب، والتَّساؤلات المطروحة وما في ترشيحها، وسوء الإفهام في حدود الدائرة الخطابيَّة بين المشتركين من جانب آخر إذن، هي المحرك الفاعل لظهور التَّناص، وخصائصه، ولكن إلى أيّ مدى؟، السّؤال الذي حاولت أنحاء من القراءات النَّصِّيَّة والنَّقديَّة الإجابة عليه في تشظٍ معرفيّ واسع متعدِّد؛ بحسب انتماءاتها

(١) ينظر: النَّصّ والخطاب والإجراء؛ دي بوجراند: ١٠٤، ومدخل إلى علم لغة النَّصّ؛ ديبوغراند، ودريسلر: ٣٥، و٢٣٣.

(٢) يتوافق مفهوم "التّناصّ" في الدَّرس الحديث مع مفاهيم: "الاقتباس"، و"التَّضمين"، و"المناسبة" في المدوَّنة البلاغيَّة العربيَّة ـ ومنها خصائص علم البديع، فإذا كانت محاور "الاقتباس" تقارب التَّضمين في: "أن يضمَّن الكلام شيئاً من القرآن والحديث، لا على أنَّه فيه". [الإيضاح؛ القزويني: ٣٥٠، وينظر: الإشارات والتنبيهات؛ ركن الدين الجرجاني: ٢٤٦، والمطوَّل؛ التفتازاني: ٧٢٣]، فإنَّ "التَّضمين": يتعيَّن بإدراج كلام آخر في أثناء الكلام؛ لقصد التأكيد المعنويّ أو التَّرتيب النَّظمي. ينظر: معترك الأقران؛ السيوطي: ١/ ٣٠٢، ومعجم المصطلحات البلاغيَّة؛ أحمد مطلوب: ٣٧٢- ٣٧٢. وأقول: إذا تشظَّى المفهوم الاستعماليّ من ذلك الإيراد القبلي على نحوي الاقتباس والتَّضمين، فإنَّ "التَّناص"، جامع لهما في: علاقة نصّ بنصّ علاقة تفاعليَّة حضوريَّة، إشارةً صريحة، أو ضمنيَّة. وهل يتقارب هذا المفهوم مع مفاهيم "المناسبة" في دراسات النَّصّ القرآنيّ، يبدو لي أنَّ الأمر فيه كثير من مشابهة، وله أكثر من مقاربة، [ينظر: البرهان في علوم القرآن؛ الزركشي: ١/ ٤١، ومعترك الأقران؛ السيوطي: ١/ ٤٤]، بل لعلَّ فيه من التوصيف ما يتّخذ من العلاقات علاقة النَّص الموازي/ الشارح، ذلك الذي يجعل منه إعادة لصياغة تدخل في رحاب الانتاجيَّة والمتعاليات النَّصِّيَّة. ينظر: مدخل لجامع النص؛ جيرار جينيت: ٩٠.

(٣) مطاردة العلامات؛ جوناثان كلر: ١٤٠– ١٤١. وينظر: حفريات المعرفة؛ ميشال فوكو: ٢٥.

(٤) مطاردة العلامات: ١٤٠.

ومرجعيَّاتها النَّظريَّة والغايات، ليستقر الطَّرح مطلباً فيه، بعدُ، في قيم الالتفات من الجدّة في كشفه، وعِلَّة الظُّهور إلى المعالجة والإجراء وفلسفة النَّظر، بقول "نتالي": "لا تكمن خصوصيَّة التَّناص... في الكشف عن ظاهرة جديدة، لكن في اقتراح طريقة جديدة في التَّفكير وفي معالجة أشكال من التَّقاطعات الصَّريحة أو الضَّمنيَّة بين نصيّنِ"(١)، أو نصوص متعدِّدة.

لقد أفضت قراءات المدوَّنة النَّصِّيَّة من معيار "التَّناصّ intertextuality"، إلى مفاهيم توحي بحركيَّة النَّصّ، وهو الأمر الذي يشي بانفتاح بنيته على أنساق من ثقافاتٍ، تستند خلفيّاتها إلى مفهوم التَّعالق/ التَّفاعل النَّصِّيّ؛ وتقرّر كونه "مجمل المعرفة التي تجعل من الممكن أن يكون للنصوص معنى"(٢)، في علاقة من التَّشابك والانصهار المعقدّة لا ينحصر مداها المعرفيّ في دالَّة معيَّنة، على الرَّغم من توصيف مدلولها المفاهيميّ، وتواطؤ قراءاتها إجمالاً في(٣):

١ـ "العلاقات بين نصّ ما ونصوص أخرى مرتبطة به وقعت في حدود تجربة سابقة، سواء بواسطة أم بغير وساطة..."(٤).

٢ـ سلسلة من النُّصوص يتضمَّن كلّ نصّ فيها عناصر من نصّ آخر، أو نصوص أخر على نحو صريح، أو ضمنيّ(٥).

٣ـ "عمل تحويل وتشرّب "استيعاب وتمثيل" لعدّة نصوص يقوم به نصّ مركزيّ يحتفظ

(١) مدخل إلى التناص؛ نتالي بييقي ـ غروس: ١٢ – ١٣.
(٢) مطاردة العلامات؛ جوناثان كلر: ١٤٣.
(٣) ينظر: علم النَّصّ؛ جوليات كريسطيفا: ٢١، والتَّحليل النَّصِّيّ؛ رولان بارت: ٣٤، ومدخل لجامع النَّص؛ جرار جينيت: ٩٠، ودراسات في النَّصّ والتّناصيَّة، بحوث مترجمة؛ محمد خير البقاعي: ٣٨– ٣٩، و٥٨، و٩٧، والخطيئة والتَّكفير؛ عبد الله الغذَّامي: ٢٨٨، وتحليل الخطاب الشعري؛ محمد مفتاح: ١١٩، ونظريَّة النَّصّ؛ حسين خمري: ٢٥٣– ٢٦١، وإشكالية المصطلح؛ يوسف وغليسي: ٣٨٩– ٤١٩، والمصطلحات الأدبية الحديثة؛ محمد عناني: ٤٦، ومعجم المصطلحات الأدبية المعاصرة؛ سعيد علوش: ٢١٥، ومناهج النَّقد المعاصر؛ صلاح فضل: ١٦٢، وبلاغة الخطاب وعلم النص؛ صلاح فضل: ٢٢٩، ومدخل إلى علم النَّصّ؛ محمد الأخضر الصبيحي: ١٠٠– ١٠٤، والقاموس الموسوعي للتداولية؛ جاك موشلر: ٣٤٧.
(٤) النَّصّ والخطاب والإجراء؛ دي بوجراند: ١٠٤. وينظر: مدخل إلى علم لغة النَّصّ؛ دريسلر: ٣٥.
(٥) ينظر: تحليل الخطاب، النَّظريَّة والمنهج؛ ماريان يورغنسن: ١٤٩.

بمركزيَّة الصَّدارة في المعنى"[١].

وقد يتجاوز مفهومه إلى ما يشمل مجمل العمليَّات الإجرائيَّة والانتاجيَّة التي تمثِّل محاوراها مفاهيم التَّناصيَّة؛ بوصفها: "خاصيَّة تكوينيَّة في كلّ نصّ"[٢]: ما يتكوّن به النَّصّ[٣]، وبه يكون "خطاباً متعدّد القيمة"[٤]. ومن هنا فرَّقت معجميَّة "تحليل الخطاب" بين مفهومين: "التَّناصّ" الذي "هو مجموع النَّبذ التي تمَّ إيرادها (شواهد، تلميحات، صياغة محاكية...) في مدوَّنة معيَّنة"[٥]. والتَّناصيَّة التي "هي نسق القواعد الضَّمنيَّة الممثَّلة لخلفيَّة هذا التَّناصّ وطريقة الاستشهاد التي تُعتبر مشروعة في التَّشكيلة الخطابيَّة... الذي تنتمي إليه المدوَّنة"[٦]. وحصرت مقولاتها الإجرائيَّة بنوعين رئيسين، هما: "تناصيَّة داخليَّة (بين خطاب وخطابات من حقل خطابيّ واحد)، وتناصّيَّة خارجيَّة (مع خطابات من حقول خطابيَّة مغايرة، مثلاً خطاب لاهوتي، وخطاب علميّ)"[٧].

يبدو أنَّ ثمَّة مفهومين إذن يدخلان في دائرة الدَّالّين: التَّناصّ والتَّناصّيَّة، مع مفهوم ثالث يكوَّن منهما المحور الموضوعيّ للجهاز المفاهيميّ في التَّناصيَّة، وهما:

أوّلاً: إجراء عمليّ، وتنفيذ فعليّ، وممارسة كتابيَّة، تسندها الخبرة والثَّقافة، والذَّاكرة الطَّويلة، ويتمثَّل هذا في "التَّناصّ "intertexte": ذلك التَّشاكل والتَّداخل النَّصّيّ العلائقيّ القبليّ في النَّصّ، إنَّه "حضور متفاعل بين نصّين أو أكثر"[٨]، أو "علاقة تفاعل بين نصوص سابقة، ونصّ آخر حاضر، أو هو تعانق (الدُّخول في علاقة) نصوص مع نصّ حدث بكيفيَّات مختلفة"[٩].

(١) المصطلحات الأساسيَّة؛ نعمان بوقرة: ١٠١.
(٢) معجم تحيل الخطاب؛ باتريك شارودو: ٣١٧.
(٣) ينظر: التَّحليل النصي؛ رولان بارت:
(٤) النص الغائب؛ محمد عزام: ٢٨.
(٥) معجم تحليل الخطاب؛ باتريك شارودو: ٣١٨.
(٦) المصدر نفسه: ٣١٨. وينظر: المصطلحات؛ دومينيك مانغونو: ٧٨– ٧٩.
(٧) معجم تحليل الخطاب؛ باتريك شارودو: ٣١٩.
(٨) مدخل إلى التناص؛ نتالي بييقي ـ غروس: ٥٩. وينظر: دراسات في النص والتناصيَّة، بحوث مترجمة؛ محمد خير البقاعي: ١٢٥.
(٩) النَّصّ الغائب؛ محمد عزام: ٢٩.

وهذا التَّناصّ بحسب التَّعالق والتَّفاعل النَّصِّيّ على قسمينِ، القسم الأوَّل: تناصّ داخليّ: و"هو حوار يتجلَّى في "توالد" النَّصّ، و"تناسله"، وتناقش فيه: الكلمات المفاتيح أو المحاور، والجمل والمنطلقات والأهداف، والحوارات المباشرة وغير المباشرة. فهو إعادة انتاج سابق، في حدود من الحرية"[١].

وأمَّا القسم الثاني، فهو التَّناص الخارجيّ: وهو "حوار بين النَّصّ ونصوص أخرى متعدِّدة المصادر والوظائف والمستويات. واستشفاف التَّناص الخارجيّ في نصّ عمليَّة ليست بالسّهلة، وعلى الخصوص إذا كان مبنيّاً بصفة حاذقة. ولكنَّها مهما تسترت واختفت فإنَّها لا يمكن ان تختفي على القارئ المطلع الذي بإمكانه أن يعيدها إلى مصادرها. إذن فإنَّ هناك نصّاً مركزيّاً يتجلَّى في النصوص السابقة، ونصوصاً فرعيَّة تتمثَّل في النُّصوص اللاحقة"[٢].

وعلى الرّغم من توصيف كلّ من هذين القسمين/ الشَّكلين: الدَّاخليّ والخارجيّ بسياق معيَّن، ثمَّة نظر يجري في ضوء قراءة التَّفاعل والتَّرابط بينهما على نحو متداخل مع بعضهما على مستوى أفقيّ وعموديّ، يتعلَّق بعموميَّة القراءة الأفقيَّة، وخصوصيَّة القراءة العموديَّة[٣].

ثانياً: وصف نظريّ، علميّ، يقع في دائرة الأنساق التَّناصيَّة التي تمثِّل المرجعيَّة المعرفيَّة في التَّوظيف، وهو "التَّناصيَّة intertextuality": تلك التي تتعيَّن قواعد وطرائق وأنظمة في الاستشهادات والاقتباسات. وكلٌّ منهما، أعني: التَّناصّ والتَّناصيَّة، يشتغل فيهما محوريَّة الدّالّ ـ النَّصّ، بل لا مناص في تشكيل خصائصهما المعرفيَّة جدلاً إلا به، ولا اعتبار موضوعيّ لهما إلا عبره وبوساطته ومن خلاله، صحيح أنَّ "ما يكوِّن النَّصّ هو التَّناصّ"[٤]، بيد أنَّه صحيح أيضاً أنَّه نسيج من ذلك، ومزيج من تلك الأنساق والعلامات والأصداء والإحالات[٥]، إنَّه: ذلك المنجز المركزيّ حينما يتحوَّل بالتَّفاعل والإنفاذ؛ ليتّخذ

(١) المصدر نفسه: ٣١.
(٢) المصدر نفسه: ٣١- ٣٢.
(٣) ينظر: انفتاح النَّصّ الروائي؛ سعيد يقطين: ١٠٠.
(٤) التحليل النصي؛ رولان بارت: ٧٩.
(٥) ينظر: درس السيميولوجيا؛ رولان بارت: ٦٠- ٦٣.

توصيفاً آخر بمفهوم "المتناصّ"، ذلك "النَّصّ الذي يستوعب عدداً من النُّصوص، ويظلّ متمركزاً من خلال المعنى... [أو] مجموعة النُّصوص التي يمكن تقريبها من النَّصّ الموجود تحت أعيننا، أو ... التي نجدها في ذاكرتنا عند قراءة مقطع معيَّن"(١). من نصّ، أو مدوَّنة كتابيَّة ما.

التَّناصّ إذن، هو ذلك الفعل الإنجازيّ الذي يتولَّد من فاعليَّات إذكاء الذاكرة والنَّظر والتَّكوين الدَّلاليّ؛ ليتجلَّى في "تشكيل نصّ جديد من نصوص سابقة أو معاصرة، بحيث يغدو النَّصّ المتناص خلاصة لعدد من النُّصوص التي تمحي الحدود بينها، وأُعيدت صياغتها بشكل جديد، بحيث لم يبق من النُّصوص السابقة سوى مادّتها. وغاب "الأصل"، فلا يدركه إلا ذوو الخبرة والمران"(٢). وذلك بفاعليَّة من قراءة بين المعطى والانتاجيَّة، حتَّى يكون "النَّصّ الماثل أمامنا هو نتاج لملايين النُّصوص المخزونة في الذَّاكرة الإنسانيَّة خاصّة في شقّها الإبداعيّ، ومثلما أنَّ النَّصّ ناتج لها فإنَّه – أيضاً – مقدِّمة لنصوص ستأتي. وهذا يجعل مبدأ "تداخل النُّصوص" منعطفاً تمرّ به كلّ النصوص، وأولاها به هو ما يتّفق مع النَّصّ الماثل في جنسه الأدبيّ؛ حيث انتماء النَّصّ كأساس لتبرير سياقه ولفهم شفرته، فليس النَّصّ – إذاً [كذا] – إلا وجهاً لعالمه النُّصوصيّ، ويلزمنا تأسيس هذه العلاقة داخل الجنس الأدبيّ الواحد لكي نفهم هذا النَّصّ – أولاً – ثُمَّ لكي نعرف مقدار تجاوزه، ودرجة تميّزه"(٣) ثانياً.

وقبل أن نأتي على مجمل العمليَّات الإجرائيَّة والممارسات التَّطبيقيَّة التي لم تقف عند حدود الوصف المفاهيميّ من غير بيان الوسائل والوظائف التي يقوم بها مفهوم التَّناصّ؛ بوصفه معياراً من معايير النَّصِّيَّة، أُلفتُ إلى مسألة الاشتغال الأدبيّ واللِّسانيّ في موضوع التَّناص/ التَّناصيَّة، فعلى الرّغم من اعتقادي بعدم الفصل بينهما، أعني بين قراءة المدوَّنة الأدبية واللِّسانيَّة؛ لأنَّ اللُّغة النَّصِّيَّة هي المنطلق الأوَّل، وليس هي الأخيرة بداهة بالتَّوصيف فيهما، نجد أنَّ المدوَّنة النَّقديَّة تحدّد التَّناصيَّة بمفهوم يتجاوز التَّأثُّر

(١) النَّصّ الغائب؛ محمد عزّام: ٣٠. وينظر: مدخل إلى التناص؛ نتالي بييقي ـ غروس: ١١، وانفتاح النص الروائي؛ سعيد يقطين: ٩٥.

(٢) النَّصّ الغائب؛ محمد عزّام: ٢٩.

(٣) تشريح النص؛ عبد الله الغذّامي: ١١٥ – ١١٦.

والتَّأثير إلى نحو يتعلَّق بالبنية والفضاء الإبداعيّ[١] – كشف الأثر الأدبّي، فضلًا عن رُؤاه وأشكاله[٢]، يقول: "رولان بارت": "لا يحاول التَّحليل النَّصّيِّ معرفة بماذا يتحدَّد النَّصّ (باعتبار أنَّه قد تمّ تجميعه لغاية سببيَّة)، بل بالأحرى كيف يتفجّر ويتبدَّد... إنَّ هدفنا هو التَّوصُّل إلى أن نتصوَّر، ونتخيَّل، ونعيش تعدُّديَّة النَّصّ، وانتفاح دلالته"[٣]. مع التَّنبيه على أنَّه، أعني: التَّناص، ليس إجرائيَّة تتعلَّق بالكشف عن الأصول، بل عن الكيفيَّات التي تتحرّك فيها النُّصوص في نصّ[٤]، ولهذا يقول "بارت" إنَّه "سمة من سمات ملفوظ ما، تحيل على نصّ آخر، بالمعنى اللانهائيّ تقريباً للكلمة؛ إذ لا ينبغي الخلط بين مصادر نصّ من النّصوص (التي ما هي إلا الشّكل الأدني في ظاهرة الاقتباس هذه)، وبين الاقتباس الذي هو نوع من الإحالة الخفيَّة على نصّ لا نهائيّ، هو النَّصّ الثَّقافيّ للبشرية"[٥].

وأمَّا اللِّسانيَّات النَّصِّيَّة، فتعتمل من مفاهيم "التَّناصّ" معياراً يقوم على مستويات من التَّوظيف للنصوص، وفي رحاب من التَّغذية التي يفضي بها متكلِّم ما بدعم موفقه الاتصاليّ، وتخدم أهدافه وأعراض ذلك الشَّخص ومعتقداته، تحت مفهوم "التَّوسط"[٦]، فضلاً عن التَّصوُّر المعرفيّ السَّابق من المتشاركين في النُّصوص وأنواعها، وهو ما يشير إليه النَّصِّيّونَ بالقول: "أمَّا المعيار السَّابع، فهو النُّصوصيَّة [أي: التَّناصّ]، وموضوعه تلك العوامل التي تجعل استغلال أحد النُّصوص معتمداً على معرفة نصّ سابق أو أكثر من النُّصوص التي تعرَّف عليها مستقبل النَّصّ في الماضي"[٧]. وبعبارة أخرى، ذلك المعيار الذي يندرج "تحته الطرق التي يعتمد فيها إنتاج نصّ ما واستقباله على معرفة المشاركين بغيره من النُّصوص"[٨].

(١) ينظر: مطاردة العلامات؛ جوناثا كلر: ١٥٩، والنص الغائب؛ محمد عزّام: ٣٠، وتشرح النَّصّ؛ عبد الله الغذَّامي: ١١٣، والخطيئة والتكفير؛ عبد الله الغذَّامي: ١٦، وانفتاح النَّصّ الروائي؛ سعيد يقطين: ٩٨.
(٢) ينظر: المصطلحات؛ دومينيك مانغونو: ٧٧، ونظريَّة النَّصّ؛ حسين خمري: ٢٥٣– ٢٦١، وانفتاح النَّصّ الروائي؛ سعيد يقطين: ١٠٠– ١٠١.
(٣) التحليل النصي: ٧٦– ٧٧.
(٤) ينظر: انفتاح النص الروائي؛ سعيد يقطين: ٩٦.
(٥) التحليل النصي؛ رولان بارت: ٣٤– ٣٥. وينظر: درس السيميولوجيا؛ رولان بارت: ٦٢.
(٦) ينظر: مدخل إلى علم لغة النَّصّ؛ ديبوغراند، ودريسلر: ٢٣٣.
(٧) المصدر نفسه: ٣٥.
(٨) المصدر نفسه: ٢٣٣.

لمعيار التناصّ إذن، مبادئ تتّخذ منها النَّصِّيَّة سمات وعلامات معيَّنة في تحديد ١ـ نوعيَّة النَّصّ و٢ـ إنتاجه واستقباله، فضلاً عن ٣ـ قدرته الإعلاميَّة والتَّواصليَّة، في فاعليَّة من التَّكوين العالي، و"تكامل النُّصوص"[١]، ليس على نحو النَّصِّيَّة في: حضور/ تفاعل/ ترابط نصّ بنصّ على نحو من "تناص" فحسب، بل على نحو ثقافة عالية ومعرفة وافتراض سابق في التَّصوُّر في دائرة التَّلقِّي، في نحو من العلاقات وشرائطها في التَّناصيَّة، وهو مدار إيجابيّ تتوافق إجراءاته في ضوء أنساقها التَّنظيميَّة والطَّرائق التَّكوينيَّة وشرائعها الدَّلاليَّة، ذلك التَّوصيف "التَّناصيَّة" الذي يبدو لي منه جهازاً متكاملاً أولى بالاعتبار من مقولة "التَّناص" فحسب، معياراً من معايير النَّصِّيَّة، بل لعلِّي أنظر إليه وقد وافق المصدر الصِّناعيّ منها، من تلك الطرائق والتَّنظيمات والشرائع في تناصيَّة = نصِّيَّة، ليكون المعيار النِّهائيّ ليس "التَّناص"، بل معيار "التَّناصيَّة intertextuality"، وهو ما يوحي به نصّ التَّرجمة، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى، في ذلك التَّفاعل الإجرائيّ مع معايير النَّصِّيَّة الأخر: كالإعلاميَّة والموفقيَّة والقصديَّة في التَّكوين، وهو ما يظهر من ملحظ المفارقة في مقاييس النَّصِّيين التي اقترحوها في المعاجلة والإجراء، ومن هذه المقاييس/ العوامل: مفهوم "التَّوسط"، سعةً وضيقاً من ثقافة النُّصوص والإحاطة بها أو عدمها، وهو الأمر الذي ينسحب ضرورة على عالم الخبرة، والمعرفة بعالم النَّصّ والواقع أيضاً، ذلك المقياس الذي يمكن أن يُقرأ مرةً على أنَّه توافق معرفيّ من جهة المتلقِّي، بل يبدو منه أنَّه شرط رئيس في المفهوم الإجرائيّ النَّصِّيّ وتفاعلية الدائرة الخطابيَّة. ومرةً أخرى على أنَّه كسر لأفق التَّوقُّع الذي ينسجم مع معيار الإعلاميَّة وقِلَّة التَّوارد والجدّة والفائدة، تلك المقاييس والموازيين التي تُفهم من قول "ديبوغراند، ودريسلر":

١ـ "يمكننا تطبيق هذه المعرفة [معيار التَّناص] من خلال معالجة تعتمد على التَّوسُّط (أي مدى تغذية نموذج الموقف الاتصالي عند شخص ما بأهداف ذلك الشَّخص، ومعتقداته الحالية): كلَّما اتّسعت الشُّقَّة بين استعمال النَّصّ الحالي واستعمال النُّصوص التي واجهها المرء من قبل وزادت نشاطات المعالجة ازداد حجم التَّوسُّط، ومن الأمثلة التي

(١) ينظر: النَّصّ والخطاب والإجراء؛ دي بوجراند: ١٠٤، و٤١٢.

تُساق لتوضيح التّوسط الواسع، تطوير "أنواع النُّصوص" واستعمالاتها، وهي أصناف من النُّصوص يتوقّع المرء اشتمالها على بعض السِّمات التي تخدم أغراضاً معيّنة"[١].

٢ـ وهو ما يتفاعل مع مبدأ الإعلاميَّة والجدّة، ناهيك بالموفقيَّة والقصديَّة: "يكون التَّوسّط أقلّ كثيراً عند اقتباس المرء من نصوص مشهورة معيَّنة وإحالته إليها، من مثل الخطب المشهورة أو المؤلّفات الأدبيَّة الذائعة الصيت، بل إنَّ التَّوسّط يصبح ضئيلاً للغاية في بعض النَّشاطات من مثل الرَّدّ على نصوص أخرى أو نقضها أو روايتها أو تلخيصها أو تقييمها، على النَّحو الذي نجده في المحادثة بوجه خاصّ"[٢].

أقول: قد يفهم من هذين النَّصّين إشكاليَّة تنحو إلى نزعة من مفارقة، بين اتخاذ التَّناص سمةً في التَّشكيل النَّصِّيّ، وعدمه لإدراك مديات من التّوسُّط والتَّفاعل بين معايير النَّصِّيَّة الإعلاميَّة والقصديَّة والموقفيَّة، ولكن هذه الإشكاليَّة تنجلي بمعرفة نصّ تمثيلي موافق لفاعليَّة التَّوظيف والأغراض التي تكمن في النُّصوص وأنواعها حين استعمالها، فكلّ منها له من الوظائف ما ليس لغيره، وبحسب الدوافع والاستعمالات[٣]؛ ولذلك ضَرب "ديبوغراند ودريسلر" مثلاً، في نصّ مصغّر بعلامة مرورية اختصرت نصّاً كبيراً تناصّت معه، وهي: "[١٦] استئناف السرعة"، قالا: "ليس في وسع أحد أن يستأنف أمراً لم يكن قد قام به في وقت سابق، ثُمَّ توقف عنه لسبب من الأسباب. والسرعة المقصودة هنا ليس سوى السرعة التي استمرّت إلى حين مشاهدة الإشارة، ومن ثُمَّ القيام بتخفيف السرعة. وغني عن البيان، أنَّ معنى [١٦] وما لها من صلة يعتمدان على معرفة النَّصّ... وتطبيق محتواه على الموقف المستجد"[٤].

إلى أن يقولا: "تعتبر النُّصوصيَّة مسؤولة بوجه عام عن تطوّر أنواع النُّصوص بصفتها فئات لنصوص ذات أشكال نمطيَّة من الخصائص. قد يكون الاعتماد في هذا النّوع أو ذلك على النصوصيَّة كبيراً أو صغيراً. ففي نصوص من مثل المحاكاة الساخرة أو المراجعات النَّقديَّة أو المرافعات القضائيَّة أو التَّقارير، يستلزم الأمر أن يستعين المنتج بنصوص سابقة

(١) مدخل إلى علم لغة النَّصّ؛ ديبوغراند، ودريسلر: ٢٣٣.
(٢) المصدر نفسه: ٢٣٣.
(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٢٣٥.
(٤) المصدر نفسه: ٣٥.

استعانة مستمرة، وكذلك يحتاج مستقبلو النَّصّ في العادة إلى قدر من الألفة من نصوص سابقة"[١].

ولم يكتفيا بذلك حتَّى زادا من التَّوضيح بقراءة تناصّ من النُّصوص الإبداعيَّة الشَّعريَّة؛ محاولة للكشف عن الأبعاد والمفارقة، التي تفضي إلى تشتت التَّفكير وعدم الفهم، هكذا: "عندما يطلع القارئ على قول سراج الدين الورّاق:

يا لائمي في هواها أفرطتَ في اللومِ جَهلاً
لا يعلمُ الشوقَ إلا ولا الصّبابة إلا

يتشعب تفكيره في أنحاء شتى، إلا إذا كان على علم بنصّ سابق، وهو بيت الشّعر القديم:

لا يعلم الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها"[٢].

ولهذا قررا إدراك فاعليَّة المعرفة السّابقة وما في إنتاجيَّة النَّصّ من قدرة على الفهم والاستيعاب في دائرة من الافتراض المسبق ومعرفة المشتركين في أنحاء الخطاب وتضمّناته، في قول: "إنَّ الصّعوبة تنحلّ من خلال معرفة المستقبل للنصّ القديم، ومقاصده، في حين تؤدِّي جدّة النَّصّ اللاحق إلى إضافة قدر مهّم من الإعلاميَّة والاهتمام إلى النَّصّ السَّابق"[٣].

أقول: تبقى إذن، المسألة "معيارية التَّناص"، وقضايا التَّناصيَّة في رحاب الذَّاكرة الطَّويلة ومخزونها الجمعيّ والمرجعيّ، ناهيك بالقدرة على تشخيص النُّصوص: مواردها وتداخلها ومناسباتها وتصاهرها واستدعائها حين التَّوظيف والتَّضمين والإشارة والتَّناظر والتَّحليل والتَّفسير والتَّأويل؛ ليكون النَّصّ – المتناصّ، عبارة عن إنتاجيَّة مخصوصة بالتَّحيين والتَّسييق من الموقفيَّة والقصديَّة والإرساليَّة التَّواصليَّة. على أنَّ مطلب حضوره التَّفاعليّ، ليس فحسب في ذلك، بل في كونه من أهمّ المسائل التي تتشبّث بفهم النَّصّ، حتَّى قيل: "إنَّ أيّ نصّ لا يمكن فهمه من دون الرجوع إلى عشرات النُّصوص التي سبقته. فالمعنى مغيّب في بطن هذه النُّصوص، لأنَّ كلّ تعبير يفترض وجود تعبير آخر، أخذ منه،

(١) المصدر نفسه: ٣٥– ٣٦.
(٢) المصدر نفسه: ٣٦.
(٣) المصدر نفسه: ٣٦.

أو تولّد عنه"[١].

ولهذا كان "جوناثان كلر" يقول: "إنَّ محاولة الكشف عن أهمِّيَّة التَّناص، تقود المرء إلى التَّركيز على الخطابات الأخرى المتماهية مع خطاب ما، وتقف وراءه، ومحاول تحديد هذه الخطابات"[٢]؛ من أجل الوقوف على خصائص العمل الفنيّ الإبداعيّ؛ لأنَّ الأخير إنَّما "يدرك في علاقته بالأعمال الأخرى، وبالاستناد إلى التَّرابطات التي نقيمها فيما بينها، وليس النَّصّ المعارض وحده الذي يبدع في توازٍ وتقابل مع نموذج معيَّن، بل إنَّ كلّ عمل فنّي يُبدع على هذا النَّحو"[٣]، من العلاقات ممثلة ومخالفة وامتيازاً.

التَّناص والنَّصّ "دعاء السِّمات"، السِّياق بين الافتراض والواقع:

تسلك النُّصوص أصول سياقاتها الافتراضيَّة، وهي إذ ذلك إنَّما تبتني على طرائق من تخطيط، وفاعليَّة من توجيه، تلك التي عُقِدت لأجلها أهدافها، وتكوَّنت لشؤونها إبلاغيَّاتها القصديَّة والتَّواصليَّة في ضوء شبكة من الإرسال.

ولكن هل سياق نصّ الدُّعاء كذلك، حين ينفذ إلى نصوص، ويتداخل معها في تناصّ، ليكوِّن منها نصّاً يتّخذ منه سبيلاً للطلب، والرجاء، والأمل، والعبادة في خشوع وتضرُّع؟.

لقد عُقِدَت تصوّرات[٤] سابقاً على أنَّ هذا الاستفهام تتباين إجابته بحسب أنحاء التَّلقّي، وأن واقع سياق الافتراض النَّصّيّ، لكي يكون منتجاً، يقتضي التَّفكير بمبدأ اعتياديّات الخطاب الإنسانيّ، وافتراضاته المسبقة، وسحبه إلى دائرة الطَّلب العباديّ؛ كي يتّخذ الخطاب العباديّ به سمة النَّصِّيَّة، وتحقيق غاية ما تصبو إليه من الاستمرار الدَّلاليّ والمقبوليَّة، ثُمَّ تنشيط إجراءاتها في ضوء معاييرها التَّكوينيَّة، كشفاً وتفسيراً وتحليلاً ؛ ذلك لأنَّ الإرسال في النَّصّ يتنوَّع على جهات مختلفة من التَّوصيف، منها: الجهة القدسيَّة الغيبيَّة، والجهة الإنسانيَّة، والأخيرة هي التي ينسجم معها افتراض التَّناصّ، وسواه من القيم والمقولات النَّصِّيَّة، وذلك بخلق سياق موافق لشؤون الإنسانيَّة ودوائر الخطاب وأنساق الثَّقافة الأخلاقيَّة والآداب العرفيَّة وافتراضاتها المسبقة التَّخاطبيَّة في مستوى

(١) مناهج النقد الأدبي الحديث؛ وليد القصّاب: ٢٢٣.
(٢) مطاردة العلامات: ١٤٥. وينظر: تحليل الخطاب الشعري؛ محمد مفتاح: ١٣٤- ١٣٥.
(٣) النص الغائب؛ محمد عزّام: ٢٨.
(٤) ينظر: نحو النَّصِّيَّة في دعاء السمات: ٦٥.

التَّلقِّي الاعتيادي: الانسان الداعي، والسامع؛ لأنَّ الجهة الغيبيَّة لا يستقيم معها ما يستقيم والإنسان الاعتيادي في عالم الشّهادة وسياق الواقع من توصيف سمات الاشتراك وإرادة الإفهام والمعرفة المسبقة، ثُمَّ تعيين النُّصوص من قبل المتلقِّي ("الله"، جلَّ جلالُه، مثلاً!)، ومطالب الأثر والجمال الإبداعيّ، تلك التي تؤلّف قياساً اعتبارياً نافذاً؛ لإدراك تكوين لاحق في نصّ متناصّ، إنَّ هذا من شأن الإنسان المخلوق، وليس من صفات خالقه تقدَّس اسمه وتبارك ذكره، الخبير العليم، تعالى شأنه، الذي ﴿ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾[1].

ولقد يكون ذلك ماثلاً في تفاصيل كلّ دعوة، ومجمل كلّ توجُّه عباديّ برغبةٍ، بدليل من معرفةٍ، كما نقرأ مفاهيمها في النَّصّوص الآتية وما فيها من افتراضات مسبقةٍ تقوم على إيمان، وتستند إلى يقين، حتَّى كأنَّها جمعٌ لموضوع، وشرحٌ لمضمون؛ ودائرة توصيف لسياق كان أن تجذَّرت أصوله لتورق غصونه في التَّضرع والتَّذلل والطَّلب والعبادة:

١ـ اللّهُمَّ إِنِّي أَجِدُ سُبُلَ المَطالِبِ إِلَيْكَ مُشْرَعَةٌ، وَمَناهِلَ الرَّجاءِ إِلَيْكَ مُتْرَعَةٌ، وَالِاسْتِعانَةَ بِفَضْلِكَ لِمَنْ أَمَّلَكَ مُباحَةً، وَأَبْوابَ الدُّعاءِ إِلَيْكَ لِلصَّارِخِينَ مَفْتُوحَةً، وأَعْلَمُ أَنَّكَ لِلرَّاجِينَ بِمَوْضِعِ إِجابَةٍ، وَلِلْمَلْهُوفِينَ بِمَرْصَدِ إِغاثَةٍ، وَأَنَّ فِي اللَّهْفِ إِلى جُودِكَ وَالرِّضا بِقَضائِكَ عِوَضاً مِنْ مَنْعِ الباخِلِينَ، وَمَنْدُوحَةً عَمّا فِي أَيْدِي الْمُسْتَأْثِرِينَ، وَانَّ الرَّاحِلَ إِلَيْكَ قَرِيبُ المَسافَةِ، وأَنَّكَ لاتَحْتَجِبُ عَنْ خَلْقِكَ إِلاّ أَنْ تَحْجُبَهُمُ الاَعْمالُ دُوْنَكَ، وَقَدْ قَصَدْتُ إِلَيْكَ بِطَلِبَتِي، وتَوَجَّهْتُ إِلَيْكَ بِحاجَتِي، وَجَعَلْتُ بِكَ اسْتِغاثَتِي وَبِدُعائِكَ تَوَسُّلِي، مِنْ غَيرِ اسْتِحْقاقٍ لاسْتِماعِكَ مِنّي وَلا اسْتِيجابٍ لِعَفْوِكَ عَنِّي، بَلْ لِثِقَتِي بِكَرَمِكَ، وَسُكُونِي إِلى صِدْقِ وَعْدِكَ، ولَجَائِي إِلى الإِيْمانِ بِتَوْحِيدِكَ، وَيَقِينِي بِمَعْرِفَتِكَ مِنِّي أَنْ لا رَبَّ لِي غَيْرُكَ وَلا إِلهَ إِلاّ أَنْتَ، وَحْدَكَ لا شَرِيكَ لَكَ"[2].

٢ـ "مَعْرِفَتِي، يا مَوْلايَ، دَلِيلِي عَلَيْكَ، وحُبِّي لَكَ شَفِيعِي إِلَيْكَ، وَأَنا وَاثِقٌ مِنْ دَلِيلِي بِدَلالَتِكَ، وَساكِنٌ مِنْ شَفِيعِي إِلى شَفاعَتِكَ، أَدْعُوكَ يا سَيِّدِي، بِلِسانٍ قَدْ أَخْرَسَهُ ذَنْبُهُ، رَبِّ أُناجِيكَ بِقَلْبٍ قَدْ أَوْبَقَهُ جُرْمُهُ، أَدْعُوكَ يا رَبِّ راهِباً راغِباً راجِياً خائِفاً، إِذا رَأَيْتُ مَوْلايَ

(١) سورة التغابن، الآية: ٤.
(٢) الصَّحيفة السَّجّاديَّة الجامعة، (دعاؤه عليه السلام في سحر كلّ ليلة من شهر رمضان ١١٦: ٢١٥-٢١٦.

ذُنُوبِي فَزِعْتُ، وَإِذا رَأَيْتُ كَرَمَكَ طَمَعْتُ، فَإِنْ عَفَوْتَ فَخَيْرُ راحِمٍ، وَإِنْ عَذَّبْتَ فَغَيْرُ ظالِمٍ. حُجَّتِي يااللهُ، فِي جُرْأَتِي عَلى مُسأَلَتِكَ مَعَ إِتْيانِي ما تَكْرَهُ جُودِكَ وَكَرَمُكَ وعُدَّتِي فِي شِدَّتِي مَعَ قِلَّةِ حَيائِي رَأفَتُكَ وَرَحْمَتُكَ وَقَدْ رَجَوْتُ أَنْ لا تُخِيبَ بَيْنَ ذَيْنِ وذَيْنِ مُنْيَتِي، فَحَقِّقْ رَجائِي، وَاسْمَعْ دُعائِي يا خَيْرَ مَنْ دَعاهُ داعٍ، وَأَفْضَلَ مَنْ رَجاهُ راجٍ"[1].

٣ـ "يا رَبِّ، هذا مَقامُ مَنْ لاذَ بِكَ وَاسْتَجارَ بِكَرَمِكَ وَأَلِفَ إِحْسانَكَ وَنِعَمَكَ وَأَنْتَ الجَوادُ الَّذِي لا يَضِيقُ عَفْوُكَ، وَلا يَنْقُصُ فَضْلُكَ، وَلا تَقِلُّ رَحْمَتُكَ، وَقَدْ تَوَثَّقْنا مِنْكَ بالصَّفْحِ القَدِيمِ، وَالفَضْلِ العَظِيمِ وَالرَّحْمَةِ الواسِعَةِ، أَفَتُراكَ يا رَبِّ، تُخْلِفُ ظُنُونَنا، أَوْ تُخَيِّبُ آمالَنا؟! كَلا، يا كَرِيمُ، فَلَيْسَ هذا ظَنُّنا بِكَ، وَلا هذا فِيكَ طَمَعُنا، يا رَبِّ إِنَّ لَنا فِيكَ أَمَلاً طَوِيلاً كَثِيراً، إِنَّ لَنا فِيكَ رَجاءً عَظِيماً عَصَيْناكَ، وَنَحْنُ نَرْجُو أَنْ تَسْتُرَ عَلَيْنا، وَدَعَوْناكَ، وَنَحْنُ نَرْجو أَنْ تَسْتَجِيبَ لَنا، فَحَقِّقْ رَجائَنا، مَوْلانا، فَقَدْ عَلِمْنا ما نَسْتَوْجِبُ بِأَعْمالِنا، وَلكِنْ عِلْمُكَ فِينا وَعِلْمُنا بِأَنَّكَ لا تَصْرِفُنا عَنْكَ، حَثَّنا عَلى الرَّغْبَةِ إِلَيْكَ، وَإِنْ كُنّا غَيْرَ مُسْتَوْجِبِينَ لِرَحْمَتِكَ، فَأَنْتَ أَهْلٌ أَنْ تَجُودَ عَلَيْنا، وَعَلى المُذْنِبِينَ بِفَضْلِ سَعَتِكَ، فَامْنُنْ عَلَيْنا بِما أَنْتَ أَهْلُهُ، وَجُدْ عَلَيْنا، فَإِنّا مُحْتاجُونَ إِلى نَيْلِكَ، يا غَفّارُ، بِنُورِكَ اهْتَدَيْنا، وَبِفَضْلِكَ اسْتَغْنَيْنا، وَبِنِعْمَتِكَ أَصْبَحْنا وَأَمْسَيْنا"[2].

فركائز هذا النَّسج، وسفن هذه المفاهيم وشرائع أفلاكها، إنَّما يتواقف شأنها راسخاً على معتقدٍ، ومعرفة إيمانيَّة سابقةٍ تدفع؛ رغبةً بالدُّعاء، ثُمَّ الطّلب من الرَّبّ العظيم سبحانه، وبثّ الحزن والحاجة إليه تعالى، بما له، تعالى شأنه، من خصائص الرُّبوبيَّة تلك التي لا يمكن أن تُتَصوّر عند أحد سواه، حاشاه عزَّ وجلَّ، كصفات القدرة، والعلم، والحكمة، والإرادة، والفضل، والكرم، والمغفرة، واللّطف، والرأفة، والرحمة، ولولا هذه – حسن الظّنّ، والأمل، والرجاء، والثِّقة – الدّوافع الإيمانيَّة والأصول العقديَّة، ناهيك بالمعرفة الافتراضيَّة السابقة لها من العبد الدّاعي والسامع الراجي، لما كانت لسمات النَّصّ من قيامة مفهومٍ، أو تجريدات أنظمة، وتسجيلات وصف لأنحاء لموصوف.

وأقول: إنَّ توسيع أفقيَّات النَّصّ وإغناءه بالمخزون المعرفيّ، يكسي النَّصّ دلالة، ويفضي

(١) المصدر نفسه: ٢١٦.
(٢) المصدر نفسه: ٢١٩– ٢٢٠.

عليه رونق وطراوة، لا تقف محاورها عند معنى دلاليّ دون آخر، بل تجعل منه أثراً تتعقبه أفعال من قراءة، وتتفاعل فيه أصول من ثقافةٍ وأرشفة من فكر؛ لسبر ما يبتغيه ذلك النَّصّ من هدف، أو ما ينشد من غاية وقصد، إن توكيداً لمعنى، أو تنظيماً لمبنى.

القنديل الثاني

في فاعليَّة الإجراء والتَّطبيق

لا ريبَ في أنَّ النَّصّ القرآنيّ شريعة لكلّ منفذ معرفيّ، ومبدأ لكلّ سلوك ثقافيّ؛ وذلك لإحاطته الشُّمولية، وآثاره الإبنائيَّة والوثائقيَّة؛ وما كان لنصّ يتّخذ لنفسه منه وجوداً، أو بلاغة لخطاب في طريق عبادة، أو دعوة لسالك، أو منهج لعارف، أن يختار العدول عنه، بل لا يمكن أن يتصوّر ذلك أبداً!.

لقد تفجَّرت في "دعاء السِّمات" ينابيع من توظيف النُصوصيَّة والتَّناصّ، على مجالات متعدِّدة، ومنازل متراكمة، كوَّن منها النَّصُّ إرساليَّةً قدسيَّة من نصوص قرآنيَّة، وسَّع فيها ميدانه العباديّ، وشكَّل مجملها مستويات من الأفق الدُّعائيّ، والتّضرُّع الإنسانيّ، إنْ صراحة أو ضمناً، حتَّى كأنَّ نصّ "السِّمات" عبارة عن مقولة جامعة لنصوص متعدِّدة في معنى دلاليّ شامل لموضوع معيَّن، وخلاصة لمبانيه الكبرى. ولأنَّها كذلك على مسالك ومراتب، يظهر بها الدُّعاء كُلّه متلبساً بروح من التَّنزيل، إذ لا توجد فقرة من فقراته إلا وفيها ضمناً نصٌّ من آية، أو قصة وآثار من سورة، لذا سأوجز القول في بعض منها، تاركاً مجالات التَّوصيف الكثير وإطناب الشرح إلى الاقتباسات والإحالات أنفسها؛ وذلك لأنَّها، في تصوّري اليسير، خير ما يشرح النَّصّ، ويقف على مضامينه ودلالاته، إذ إنَّ الدُّعاء يعود إليه، وهو يأخذ بيده؛ إيضاحاً وتفسيراً، مع الإيعاز إلى مبدأ لا بد من الالفات إليه، وهو أنَّه قد يتوارد النَّصّ نفسه في مجالات من التَّناص، الدَّاخلي منه والخارجيّ، والمثال واحد قد تكررت دوائره في فلك يعود على نفسه، وذلك على نحو ما يأتي:

في التَّناصّ الدَّاخليّ:

ويتجلَّى ذلك بنصيَّة القسم العظيم بالاسم الأعظم، إذ تكرّر مداره، بحيث أصبح محور النَّصّ الرئيس، وجملته المركزيَّة، ونواته الأولى، وتتوزَّع عليه، بل تنتشر على أجنحته مفاهيم

التوالي النَّصِّيّ، في تتابع أفقيّ ألَّفت تصوّرات الداعي، وشكّل منها انطلاقاته الأصوليَّة، وذلك في قوله عليه السلام: "اللّهمَّ إنّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْعَظيمِ الْأَعْظَمِ، اَلْأَعَزِّ الأَجَلِّ الْأَكْرَمِ، اَلَّذي إذا دُعيتَ بِهِ عَلى مَغالِقِ أَبْوابِ السَّماءِ لِلْفَتْحِ بِالرَّحْمَةِ انْفَتَحَتْ،..."[1].

وقوله عليه السلام: "وَبِاسْمِكَ الْعَظيمِ الْأَعْظَمِ، اَلْأَعَزِّ الْأَجَلِّ الْأَكْرَمِ، وَبِمَجْدِكَ الَّذي تَجَلَّيْتَ بِهِ لِمُوسى كَليمِكَ عَلَيْهِ السَّلامُ في طُورِ سَيْناءَ،..."[2].

لقد ولَّف "الاسم الأعظم" في "دعاء السِّمات" البنية الكبرى، والعلامة العليا، لكلّ أجزاء النَّصّ ومكوّناته، بل صارت أصول النَّصّ الانبنائيَّة تصدر منه؛ لتعود إليه بالقدر الذي يتجلَّى مفهومه عند الدّاعيّ، لقد تناصّ الدعاء مع نفسه ثمَّة، وأخذ يشكِّل ابتداءً وانتهاءً فقراته الأصوليَّة أنفسها في الطّلب، وهل من شيء مثل الطلب بالاسم الأعظم الأجلّ!. ليس غريباً إذن، أن يتناصّ المتناصّ مع نفسه لما في مرجعيَّة التَّناص الخارجيّ ـ وسنأتي عليه ـ من أثر إبداعيّ، ناهيك بالبعد العقديّ الإيمانيّ.

إنَّ إعادة الصِّياغة ــ التَّركيب النَّصِّيّ، لا تنفي ما في قيم تواردها من إفادة دلاليَّة وقصديَّة إعلاميَّة، بل لعلَّ موارد الانطلاق تشكّل منها حافزاً من الابتداء في الغرض، "وهو التَّنبيه على ما يكون سبباً لإجابة الدُّعاء"[3]، والتَّشفّع به والتوسُّل به إليه، قال تعالى: " ﴿وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[4]. وقوله سبحانه: ﴿هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[5]، هذا من وجه.

ومن وجه آخر، أنَّ النَّصّ يضرب إمضاءً على كلّ تصوّرات الثّقافة التي تتمسّك بمفهوم الاسم الأعظم، وهي قراءات لم تكتف بإيراد معنى دون آخر فيه، بحيث تجده يشكّل منظومة عباديَّة معرفيَّة وعرفانيَّة لا تنحصر[6]، وهو الأمر الذي يعيد إلى الذَّاكرة بنائيَّة التَّناصّ.

(١) المصباح؛ الكفعمي: ٥٣٧.
(٢) المصدر نفسه: ٥٣٩.
(٣) عُدَّة الداعي؛ ابن فهد الحلي: ٣٧١.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.
(٥) سورة الحشر، الآية: ٢٤.
(٦) ينظر: صفوة الصفات؛ الكفعمي: ٧٦- ٨٣، والمقام الأسنى؛ الكفعمي: ٣٧.

ولقد يتناصّ الدُّعاء مع نفسه داخليّاً بحيث يشير إلى عتبات من عنوانه في السِّمات/ الأسماء الحسنى، وهي المحورية، والنَّواة المركزيَّة التي يدور في فلكها كلّ عطاء بلفظ، أو دعوة بلسانٍ، أو عبرة تمتزج بحاجةٍ في قلبٍ، حين التَّضرُّع والطّلب، كما قوله ﷺ: ١ـ "وَبِجَلالِ نُورِ وَجْهِكَ الْكَرِيمِ أَكْرَمِ الْوُجُوهِ، وَأَعَزِّ الْوُجُوهِ، اَلَّذي عَنَتْ لَهُ الْوُجُوهُ، وَخَضَعَتْ لَهُ الرِّقابُ،..."[١]. وقوله ٢ـ: "وَبِمَشيَّتِكَ الَّتي دانَ لَهَا الْعالَمُونَ، وَبِكَلِمَتِكَ الَّتي خَلَقْتَ بِهَا السَّماواتِ وَالْأَرْضَ، وَبِحِكْمَتِكَ الَّتي صَنَعْتَ بِهَا الْعَجائِبَ،..."[٢].

وقوله ٣ـ : "وَبِاسْمِكَ الْعَظيمِ الْأَعْظَمِ، اَلْأَعَزِّ الْأَجَلِّ الْأَكْرَمِ، وَبِمَجْدِكَ الَّذي تَجَلَّيْتَ بِهِ لِمُوسى كَليمِكَ عَلَيْهِ السَّلامُ في طُورِ سَيْناءَ،..."[٣].

ليكون قوله ﷺ: "اللّهم بِحَقِّ هذَا الدُّعاءِ، وَبِحَقِّ هذِهِ الْأَسْماءِ الَّتي لا يَعْلَمُ تَفْسيرَها وَلا تَأْويلَها وَلا باطِنَها وَلا ظاهِرَها غَيْرُكَ، أَنْ تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَنْ تَرْزُقَني خَيْرَ الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ،..."[٤]. يكون عبارة عن نصّ متناصّ حاوياً لنصّيته ولمضامين كلّ المعاني التَّعدّديَّة التي كانت قد جرت شرائعها الدَّلاليَّة والقصديَّة المتقدِّمة فيه.

أقول: إنَّ هذا النَّصّ الختاميّ ليمثّل أسباباً من الانتاجيَّة الأولى، بل لعلَّه توطيد لذلك التّفاعل الحضوريّ كفايةً، ولعلل الانخراط والعلاقات بين فقراته النَّصّ نهاية لبداية.

وقد يتراكم النسيج النَّصّيّ المتناصّ معنًى ومضموناً وإشارةً أيضاً؛ ليتشكل في أساليب أخر، يأخذ مداها نصاً تتضافر فيه الإثباتات والمنفيات مقابلةً، والمعنى متناصّ، كما في قوله ﷺ: "اللّهم وَكَما غِبْن عَنْ ذلِكَ وَلَمْ نَشْهَدْهُ، وَآمَنَّا بِهِ وَلَمْ نَرَهُ صِدْقاً وَعَدْلاً، نَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَنْ تُبارِكَ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَتَرَحَّمَ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، كَأَفْضَلِ ما صَلَّيْتَ وَبارَكْتَ وَتَرَحَّمْتَ عَلى إِبْراهيمَ وَآلِ إِبْراهيمَ، إِنَّكَ حَميدٌ مَجيدٌ، فَعَّالٌ لِما تُريدُ، وَأَنْتَ عَلى كُلِّ شيءٍ قَديرٌ"[٥].

(١) المصباح: ٥٣٧.
(٢) المصدر نفسه: ٥٣٧.
(٣) المصدر نفسه: ٥٣٩.
(٤) المصدر نفسه: ٥٤١.
(٥) المصدر نفسه: ٥٤١.

ومن ذلك أيضاً ما يدخل في مسالك المضمون، قوله ﷺ:

١ـ اَلَّذي إِذا دُعيتَ بِهِ عَلى مَغالِقِ أَبْوابِ السَّماءِ لِلْفَتْحِ بِالرَّحْمَةِ انْفَتَحَتْ، وإِذا دُعيتَ بِهِ عَلى مَضائِقِ أَبْوابِ الْأَرْضِ لِلْفَرَجِ بِالرَّحْمَةِ انْفَرَجَتْ.

٢ـ وإِذَا دُعيتَ بِهِ عَلَى الْعُسْرِ لِلْيُسْرِ تَيَسَّرَتْ، وإِذا دُعيتَ بِهِ عَلَى الْأَمْواتِ لِلنُّشُورِ انْتَشَرَتْ.

٣ـ وإِذا دُعيتَ بِهِ عَلى كَشْفِ الْبَأْساءِ وَالضَّرَّاءِ انْكَشَفَتْ[١].

النَّصّ الأوَّل يدخل في النَّصّ الثاني، والثاني، يتفاعل مع الثالث، والثالث، عبارة عن ثنائيَّة: سطح وعمق قد بُني على القصد الأوَّل، وهو تناصّ بمضمون أوَّلي تكرَّر معناه الدَّلاليّ وأثره القصديّ في التوكيد بمضمونه الأخير: كشف البأساء والضراء، وجلب الخير والرحمة.

ومن ذلك أيضاً قوله ﷺ: "وَأَسْأَلُكَ اللّهم بِمَجْدِكَ الَّذي كَلَّمْتَ بِهِ عَبْدَكَ وَرَسُولَكَ مُوسَى بْنَ عِمْرانَ عَلَيْهِ السَّلامُ فِي الْمُقَدَّسينَ، فَوْقَ إِحْساسِ الْكَرُّوبِيّنَ، فَوْقَ غَمائِمِ النُّورِ، فَوْقَ تابُوتِ الشَّهادَةِ فِي عَمُودِ النَّارِ، وَفِي طُورِ سَيْناءَ، وَفِي جَبَلِ حُوريثَ فِي الْوادِ الْمُقَدَّسِ، فِي الْبُقْعَةِ الْمُبارَكَةِ مِنْ جانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ مِنَ الشَّجَرَةِ، وَفِي أَرْضِ مِصْرَ بِتِسْعِ آياتٍ بَيِّناتٍ"[٢].

وقوله ﷺ: "وَبِمَجْدِكَ الَّذي ظَهَرَ لِمُوسَى بْنِ عِمْرانَ عَلَيْهِ السَّلامُ عَلى قُبَّةِ الرُّمَّانِ، وَبِآياتِكَ الَّتي وَقَعَتْ عَلى أَرْضِ مِصْرَ بِمَجْدِ الْعِزَّةِ وَالْغَلَبَةِ، بِآياتٍ عَزيزَةٍ، وَبِسُلطانِ الْقُوَّةِ، وَبِعِزَّةِ الْقُدْرَةِ، وَبِشَأْنِ الْكَلِمَةِ التَّامَّةِ، وَبِكَلِماتِكَ الَّتي تَفَضَّلْتَ بِها عَلى أَهْلِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ، وَأَهْلِ الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ، وَبِرَحْمَتِكَ الَّتي مَنَنْتَ بِها عَلى جَميعِ خَلْقِكَ، وَبِاسْتِطاعَتِكَ الَّتي أَقَمْتَ بِها عَلَى الْعالَمينَ. وَبِنُورِكَ الَّذي قَدْ خَرَّ مِنْ فَزَعِهِ طُورُ سَيْناءَ،..."[٣].

فسياق النَّصّ، يوحي بميعاد سابق كان قد عقَد النَّصّ تراكيبه، وأعادَ توكيده مرةً أخرى، حتَّى تناصّ مع بعضه في قالب من أسلوب، وهندسة من تركيب، وبناء من دالّ

(١) المصدر نفسه: ٥٣٧. ترقيم النص بسببي؛ للتوضيح، وما يأتي في هذا المحور من الترقيم الداخلي للنص الدعائيّ سيكون منّي.
(٢) المصباح: ٥٣٨- ٥٣٩.
(٣) المصدر نفسه: ٥٤٠.

ومدلول، والهدف إذكاء ما في هذه الحوادث التي تقدَّم ذكرها وتصوراتها في النَّصّ السابق؛ لمزيد من الاهتمام بها في دائرة من التَّلقِّي الاعتيادي.

في التَّناصّ الخارجيّ:

قد تعود مرجعيَّات نصّ بفعل من قراءة إلى خصوصيّات معارفيَّة، فيُكبر قارئٌ، ما في خزائنها ويعجب بموسوعاتها الثَّقافيَّة. أقول: إذا كان الأمر كذلك فكيف يمكن أن يكون سياق ذلك إذا صارت معايير التَّناص تستند إلى ثقافة لُدينيَّة في معصوم[1]. يبدو أنَّ المنتهى النَّصِّيّ، وليس العقدي فحسب، سيكون ثمَّة هو الفاعل الراصد لذلك التَّوظيف القرآنيّ، والكاشف عن الخصائص والموائز في الإدارة النَّصِّيَّة والمتناصّ منها.

وهذا يكون مثلاً في قوله عليه السلام:

١ـ وإِذَا دُعِيتَ بِهِ عَلَى الْعُسْرِ لِلْيُسْرِ تَيَسَّرَتْ.

٢ـ وإِذا دُعِيتَ بِهِ عَلَى الْأَمْواتِ لِلنُّشُورِ انْتَشَرَتْ.

٣ـ وإِذا دُعِيتَ بِهِ عَلى كَشْفِ الْبَأْساءِ وَالضَّرَّاءِ انْكَشَفَتْ[2].

فهذا النَّصّ يتناصّ صراحةً مع مجموعة من النُّصوص القرآنيَّة منها ما في فقرته الأولى: قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً ﴾[3]. وفي فقرته الثانية ضمناً، مع قوله سبحانه: ﴿ وَاللهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾[4]. وفي الفقرة الثالثة، يتقارب من قوله جلَّ شأنُه: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ ﴾[5]. وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾[6].

(١) من نافلة القول إنَّ دعاء السمات من الأدعية المروية عن الإمامين الباقرين الصادقين "عليهما السلام" ينظر: المصباح: ٥٣٦. هامشه: (١)، وصفوة الصفات؛ الكفعمي: ٦٥– ٧٢، وبحار الأنوار؛ المجلسي: ٨٧/ ٩٥.

(٢) المصدر نفسه: ٥٣٧.

(٣) سورة الشرح، الآيتان: ٥– ٦.

(٤) سورة فاطر، الآية: ٩.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢١٤.

(٦) سورة الأنعام، الآية: ٤٢.

ولا ريبَ في أنَّ تضمين نصوصيَّة النَّصّ القرآنيّ في النَّصّ الدُّعائيّ، من رحاب تناصيَّة داخليَّة واحدة، والغرض ليس فحسب ما في التَّوكيد الدَّلاليّ والاستمرارية النَّصِّيَّة، وإن كانت هي الغرض، ولكن أيضاً ما في التَّوظيف من انفاذ معرفيّ يقتبس من النَّصّ القرآنيّ سلوكاً في البناء النَّصِّيّ والتَّكوين الدَّلاليّ.

ومن ذلك أيضاً قوله عليه السلام: "وَبِجَلالِ نُورِ وَجْهِكَ الْكَرِيمِ أَكْرَمِ الْوُجُوهِ، وَأَعَزِّ الْوُجُوهِ، ١ـ اَلَّذي عَنَتْ لَهُ الْوُجُوهُ، وَخَضَعَتْ لَهُ الرِّقابُ، ٢ـ وَخَشَعَتْ لَهُ الْأَصْواتُ، ٣ـ وَوَجِلَتْ لَهُ الْقُلُوبُ مِنْ مَخافَتِكَ، ٤ـ وَبِقُوَّتِكَ الَّتي بِها تُمْسِكُ السَّماءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلّا بِإِذْنِكَ، ٥ـ وَتُمْسِكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولا"[1].

وهو سياق متناصّ يكشف عن أوليّات افتراضيَّة نصِّيَّة، بل هو سلسلة من النُّصوص ترتبط بعلاقات إنتاجيَّة، فالأوَّل من قوله تعالى: ﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً ﴾[2]. والثاني من قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلاَ تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً ﴾[3]. والثالث، من قوله سبحانه: ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ ﴾[4]. والرابع، من قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[5]. والخامس، من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً ﴾[6].

ومن ذلك أيضاً قوله عليه السلام:

١ـ وَبِكَلِمَتِكَ الَّتي خَلَقْتَ بِهَا السَّماواتِ وَالْأَرْضَ.

٢ـ وَبِحِكْمَتِكَ الَّتي صَنَعْتَ بِهَا الْعَجائِبَ.

٣ـ وَخَلَقْتَ بِهَا الظُّلْمَةَ وَجَعَلْتَها لَيْلاً، وَجَعَلْتَ اللَّيْلَ سَكَناً.

(١) المصباح: ٥٣٧.
(٢) سورة طه، الآية: ١١١.
(٣) سورة طه؛ من الآية: ١٠٨.
(٤) سورة الحج؛ من الآية: ٣٥.
(٥) سورة الحج؛ من الآية: ٦٥.
(٦) سورة فاطر، الآية: ٤١.

٤ـ وَخَلَقْتَ بِهَا النُّورَ وَجَعَلْتَهُ نَهاراً، وَجَعَلْتَ النَّهارَ نُشُوراً مُبْصِراً.

٥ـ وَخَلَقْتَ بِهَا الشَّمْسَ وَجَعَلْتَ الشَّمْسَ ضِياءً، وَخَلَقْتَ بِهَا الْقَمَرَ وَجَعَلْتَ الْقَمَرَ نُوراً.

٦ـ وَخَلَقْتَ بِهَا الْكَواكِبَ وَجَعَلْتَها نُجُوماً وَبُرُوجاً، وَمَصابيحَ وَزينَةً وَرُجُوم لِلشَّياطينِ. وَجَعَلْتَ لَها مَشارِقَ وَمَغارِبَ، وَجَعَلْتَ لَها مَطالِعَ وَمَجارِيَ، وَجَعَلْتَ لَها فَلَكاً وَمَسابِحَ،...[١].

لم تنته قراءة نصوصيَّة النَّصّ تلقِّياً ثمَّة حتَّى يُستشعر منها وحياً، ثم يُدرك قارئها أنَّها تؤسِّس نفسها في محتويات معارفيَّة وفهرسة خاصّة من التَّداخل النَّصِّيّ المرجعيّ/ التَّناصّ القرآنيّ، ليظهر النَّصّ بها، وقد تشاكل أنساقاً من مقولات القرآن الكريم نفسه، ذابت فيه كلمات الدُّعاء، ثُمَّ تجلَّت مرةً أخرى فيه كلماته، ينظم نفسه فيه، ويشرف هو عليه، ويُعينه على توثيق ذاته، يشرب من رحيق تكوينه، ويستنشق من نسيم عباراته ونصوصه، وذلك على نحو ما يأتي:

التَّناصّ الأوَّل فيما يبدو من قوله تعالى شأنُه: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[٢]. و ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[٣]. وقوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[٤].

والتَّناصّ الثاني، من قوله تبارك وتعالى: ﴿صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾[٥].

والتَّناصّ الثالث، من قوله عزّ وجلَّ: ﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[٦].

والتَّناصّ الرابع، من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً وَالنَّوْمَ سُبَاتاً

(١) المصباح: ٥٣٧– ٥٣٨.
(٢) سورة النحل، الآية: ٤٠.
(٣) سورة "يس"، ٨٢.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١١٧.
(٥) سورة النمل؛ من الآية: ٨٨.
(٦) سورة الأنعام، من الآية: ٩٦.

وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿اللهَّ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ اللهَّ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾[3].

والتَّناصّ الخامس، من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً﴾[4]. وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[5]. وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[6].

والتَّناصّ السّادس، من قوله سبحانه: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظاً مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ﴾[7]. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاء بُرُوجاً وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ۝١٦ وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾[8]. وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاء بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُّنِيراً﴾[9]. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾[10]. وقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالْنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[11]. وقوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾[12]. وقوله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾[13]. وقوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ

(١) سورة الفرقان، الآية: ٤٨.
(٢) سورة النمل، الآية: ٨٦.
(٣) سورة غافر، الآية: ٦١.
(٤) سورة نوح، الآية: ١٦.
(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٣٣.
(٦) سورة يونس، الآية: ٥.
(٧) سورة الصافات، الآيتان: ٦- ٧.
(٨) سورة الحجر، الآيتان: ١٦- ١٧.
(٩) سورة الفرقان، الآية: ٦١.
(١٠) سورة الملك، الآية: ٥.
(١١) سورة النحل، الآية: ١٢.
(١٢) سورة الواقعة، الآية: ٧٥.
(١٣) سورة الصافات، الآية: ٥.

وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿لاَ الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[3].

ومن ذلك أيضاً قوله عليه السلام:

١ـ وَيَوْمَ فَرَقْتَ لِبَني إِسْرائيلَ الْبَحْرَ.

٢ـ وَفِي الْمُنْبَجِساتِ الَّتي صَنَعْتَ بِهَا الْعَجائِبَ في بَحْرِ سُوفٍ، وَعَقَدْتَ ماءَ الْبَحْرِ في قَلْبِ الْغَمْرِ كَالْحِجارَةِ.

٣ـ وَجاوَزْتَ بِبَني إِسْرائيلَ الْبَحْرَ، وَتَمَّتْ كَلِمَتُكَ الْحُسْنى عَلَيْهِمْ بِما صَبَرُوا، وَأَوْرَثْتَهُمْ مَشارِقَ الْأَرْضِ وَمَغارِبَهَا الَّتي بارَكْتَ فيها لِلْعالَمينَ، وَأَغْرَقْتَ فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ وَمَراكِبَهُ فِي الْيَمِّ[4].

فالمتناصّ: النَّصّ المتداخل، اقتبس من أحداث بني إسرائيل ما ضمنها قرآنيّاً في رحاب لسانه التَّواصليّ، وهذا ما يتجذّر مرجعاً في الأوَّل من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾[5]. والثاني من قوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطاً أُمَماً وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[6].

والتَّناصّ الثَّالث من قوله سبحانه: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلـهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[7]. وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ

(١) سورة المعارج، الآية: ٤٠.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٣٣.
(٣) سورة يس، الآية: ٤٠.
(٤) المصباح: ٥٣٨– ٥٣٩.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٥٠.
(٦) سورة الأعراف، الآية: ١٦٠.
(٧) سورة يونس، الآية: ٩٠.

كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ﴾[1].

إنَّ ثقافة النَّسق الدُّعائيّ بمبدئيَّة التَّناصّ تقرّ شهادةً في أنَّه لا يمكن أن يُستغنى عن تاريخيَّة النَّصّ السّابق، وانخراطه باللاحق في إنتاجيَّة معرفيَّة تنطلق من الأوَّل المكوِّن الأصل، إلى تكوين لاحق ـ نصّ في الطَّلب المكوَّن بسنن من الاستراحام الإنسانيّ.

ومن ذلك أيضاً قوله عليه السلام: "وَأَسْأَلُكَ اللّهم بِمَجْدِكَ الَّذي كَلَّمْتَ بِهِ عَبْدَكَ وَرَسُولَكَ مُوسَى بْنَ عِمْرانَ عَلَيْهِ السَّلامُ فِي الْمُقَدَّسينَ، فَوْقَ إِحْساسِ الْكَرُّوبِيّنَ، فَوْقَ غَمائِمِ النُّورِ، فَوْقَ تابُوتِ الشَّهادَةِ فِي عَمُودِ النَّارِ، وَفِي طُورِ سَيْناءَ، وَفِي جَبَلِ حُوريثَ فِي الْوادِ الْمُقَدَّسِ، فِي الْبُقْعَةِ الْمُبارَكَةِ مِنْ جانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ مِنَ الشَّجَرَةِ، وَفِي أَرْضِ مِصْرَ بِتِسْعِ آياتٍ بَيِّناتٍ"[2].

وكذا قوله عليه السلام:

١ـ وَبِمَجْدِكَ الَّذي ظَهَرَ لِمُوسَى بْنِ عِمْرانَ عَلَيْهِ السَّلامُ عَلى قُبَّةِ الرُّمَّانِ، وَبِآياتِكَ الَّتي وَقَعَتْ عَلى أَرْضِ مِصْرَ بِمَجْدِ الْعِزَّةِ وَالْغَلَبَةِ، بِآياتٍ عَزيزَةٍ، وَبِسُلطانِ الْقُوَّةِ، وَبِعِزَّةِ الْقُدْرَةِ.

٢ـ وَبِشَأْنِ الْكَلِمَةِ التَّامَّةِ، وَبِكَلِماتِكَ الَّتي تَفَضَّلْتَ بِها عَلى أَهْلِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ، وَأَهْلِ الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ، وَبِرَحْمَتِكَ الَّتي مَنَنْتَ بِها عَلى جَميعِ خَلْقِكَ، وَبِاسْتِطاعَتِكَ الَّتي أَقَمْتَ بِها عَلَى الْعالَمينَ.

٣ـ وَأَسْأَلُكَ بِكَلِمَتِكَ الَّتي غَلَبَتْ كُلَّ شيء، وَبِنُورِ وَجْهِكَ الَّذي تَجَلَّيْتَ بِهِ لِلْجَبَلِ فَجَعَلْتَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسى صَعِقاً، وَبِمَجْدِكَ الَّذي ظَهَرَ عَلى طُورِ سَيْناءَ، فَكَلَّمْتَ بِهِ عَبْدَكَ وَرَسُولَكَ مُوسَى بْنَ عِمْرانَ[3].

وفي هذا النَّصّ من تداخليَّة النُّصوص وتعاضدها ما مصداقه تعدُّديَّة نصوص مبثوثة في النَّصّ القرآنيّ اجتمعت مقولاتها أوّلاً في قوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء

(١) سورة الأعراف، الآيتان: ١٣٦ – ١٣٧.
(٢) المصباح: ٥٣٨.
(٣) المصدر نفسه: ٥٤٠.

مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ﴾(١). وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾(٢). وقوله تعالى: ﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ﴾(٣).

وفي الفقرة الثانية من النَّصّ الإشارة ضمناً إلى قول تعالى شأنُه: ﴿وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(٤). والتَّضمين لقوله سبحانه: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾(٥). وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾(٦). وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾(٧) وقوله جلَّ اسمه: ﴿قُلِ ادْعُواْ اللهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَـنَ أَيّاً مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى﴾(٨).

وفي الفقرة الثالثة من النَّصّ صراحةً وضمناً، شكلاً ومضموناً من قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى ۝١١ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٢ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ۝١٣ إِنَّنِي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ۝١٤﴾(٩). وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾(١٠). وقوله تعالى: ﴿وإِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾(١١). وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَـكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ موسَى صَعِقاً

(١) سورة النمل، الآية: ١٢.
(٢) سورة الإسراء، من الآية: ١٠١.
(٣) سورة القصص، الآية: ٣٢.
(٤) سورة التوبة، الآية: ٤٠.
(٥) سورة الأعراف؛ من الآية: ١٥٦.
(٦) سورة الزمر، الآية: ٥٣.
(٧) سورة غافر، من الآية: ٦٠.
(٨) سورة الإسراء، من الآية: ١١٠.
(٩) سورة طه، الآيات: ١١ – ١٤.
(١٠) سورة القصص، الآية: ٣٠.
(١١) سورة النازعات، الآية: ١٦.

فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾[2].

أقول: لقد خطا النَّصّ الدُّعائيّ بفقراته وعباراته وجمله ومضامينه سُبُل القرآن الكريم، وتداخل معها متناصّاً لمقولاته، شارعاً مواثقةً نفسه بها، حتَّى كأنَّ القارئ يقرأ نصّاً قرآنيّاً، ولكن ليس بجهته الإلهيَّة القرآنيَّة المخصوصة بالتَّوصيف، بل بصفته الدُّعائيَّة الإنسانيَّة التي ترجمت من تاريخ اللُّطف إلهيّ المطلق عطاءه، ومن تصوير الكون وتدبيره قدرته وعظمته وحسن جماله، وهو النَّصّ. بمعنى آخر أنَّ النَّصّ الدُّعائيّ رسم تنظيمات ملاكاته في هندسة إنشاءاته، فصار يستقطبُ من النَّصّ القرآنيّ نصوصاً مرصودة في وقع اقتناصها، تخطيطاً؛ ليوظّفها علاماتٍ على إرادات المنشئ، ثُمَّ ينتج منها نصّاً محوريّاً آخر تقبع في نيّاته القصديَّة عِلَّة إرساليّاته النَّصِّيَّة.

إنَّ تكامليَّة النَّصّ الدُّعائيّ سمت بأعلى مستوياتها بالنَّسق القرآنيّ هدفاً، وذلك حين أطرَّ النَّصّ الدُّعائيّ نفسه بالنَّصّ القرآنيّ، وصار به يجدِّد نفسه، مرسلة نصِّيَّة تتحرَّك في ضوء المتحرّكات النَّصِّيَّة القرآنيَّة السابقة، يُسنن الدُّعاء ذاته النَّصِّيَّة بها؛ ليتجلَّى بها معطًى بنائيّاً في الطَّلب العباديّ ـ الإنسانيّ.

وأما الغرض النَّصِّيّ والقصد الإعلاميّ، فذلك يتجلى بما في النَّصّ من إنتاجيَّة، تلك التي تجتلب وقائع محطاتها السابقة، وتستصحب ما فيها من شؤونها وقضاياها، في فلك من اللّطف الكبير والكرم الإلهيّ المطلق، ليقول، أعني: الإنسان المنشئ لهذه الانتاجية النَّصِّيَّة: للربّ العظيم، يا خالقي وربِّي العظيم، لقد كان ما كان من نشأة الكون منك، وقصص كرمك ولطفك في أنبيائك والداعين باسم العظيم الأعظم، فهل يكون لي من لطفك وكرمك شيءٌ تحيطني به رحمةً منك سبحانك، ياربّي، لقد طلبَ منك الأنبياء ودعوك، وهم في أشدّ أحوالهم إليك، وقد أنجزت لهم وعدك، وأحطتم بعنايتك ورحمتك؛ لطفاً، وتفضلاً منك، وما أطلبه منك ياربي، هو سهل يسير عليك، وهو صعب وعظيم عليّ، لِما عرفْتَنا من الرحمة والفضل منك، فهل تقبل منِّي دعوتي، وتلبِّي حاجتي، وأنت الغني العظيم، وأنا الفقير الضّعيف، إليك سبحانك وتعاليت، تقدَّس اسمُك، وجلَّ شأنُك.

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.
(٢) سورة التين، الآية: ٢.

إلهي، فلكَ الحمدُ.

الخاتمة

يمكن بيانُ أهمّ ما ترشّح من نتائج الدراسة والنظر على نحو ما يأتي:

ـ يؤلّف معيار التَّناص معياراً نصّيّاً لا يمكن الاستغناء عنه في الدراسة النَّصِّيَّة والنقديَّة، بل لعلَّ تلك القراءات إنَّما تقوم عليه واقعاً؛ لتوصيف الإبداع النَّصِّيّ والأثر الدَّلالي في النُّصوص، وتكاملها وأنواعها فهماً واستيعاباً.

ـ كان توصيف التَّناص بنحو من العلاقات بين النّصوص، سياق إجرائيّ إنَّما يرشّحه قانونه المبدئي، وذلك بأنساق وأنظمة وطرائق تصف تلك العلاقات وأنحائها، وهو ما اقتُرِحَ أن يكون عنوانه جهاز التَّناصية، بمفهومه الصِّناعي، وليس الإجرائيّ فحسب في التّناص.

ـ أنَّ التَّناصّ القرآنيّ في "دعاء السّمات"، يمثّل مركزيَّة انطلاق ومحوريَّة تكوين في آن معاً، إذ لا يجد قارئ، في الأغلب الأعمّ، من منطق في تركيب النَّصّ الدُّعائيّ، إلا وله مدخل من آية قرآنيَّة، أو نافذة من سورة، أو حدث من واقعة قد أشار إليها النَّصّ القرآنيّ، وهو أمر جعل من النَّص الدّعائيّ على ما له من قدسيَّة عباديَّة، يكتسي قدسيَّة أعلى من النَّصّ القرآنيّ.

ـ ظهر التَّناص القرآنيّ في النَّصّ الدُّعائيّ ـ "دعاء السمات" ـ على أعلى ما يكون عليه تناص مُدرك، فنصوصه ترشد إلى أصولها، وفقراته تشير إلى منابعها، صحيح أنَّ بعضها يحتاج إلى قراءات متعدِّدة، ربّما ليست أفقيَّة فحسب، بل عموديَّة آكاميَّة تراكميَّة؛ للوصول إلى مدارك معارفيَّة منه، ولكنَّه صحيح أيضاً أنَّه كان واضحاً سواء في التناص الداخلي منه أم الخارجيّ.

ـ كانت المعطيات الوقائعيَّة والأحداث التاريخيَّة التي في النَّصّ القرآنيّ، رحيقاً امتصّ "دعاء السِّمات" منها ألوانه المختلفة، ومنازله المتعدّدة؛ لينتج منها نصّاً تتجلَّى فيه روافد من معارف في معاني التَّعظيم والتَّبجيل والتَّقديس وإظهار القدرة، ثُمَّ الدخول منها إلى مطالب الدعوة والحاجة الإنسانيَّة.

ـ كان التَّناص القرآنيّ في "دعاء السمات" له من غرض التّكامل أعلى سمة في توصيف،

إذ توزعت أهدافه على أجنحة النَّصّ الدُّعائيّ، فليست إعادة القصص القرآنيّ، وإنتاج صياغتها في مقولة تنحو نحو الطلب العباديّ، إلا لما في هذه القصة أو الحادثة أو الواقعة تلك من استناد إلى القدرة الإلهيَّة واللطف الإلهي المطلق، ولهذا كان المطلب هو سحب ما في هذه من لطائف إلهيَّة واقعة إلى زمن المتكلِّم الدّاعيّ، لأنَّ الحدث السابق العظيم، هو أكبر ممّا يطلبه هذا العبد الضَّعيف.

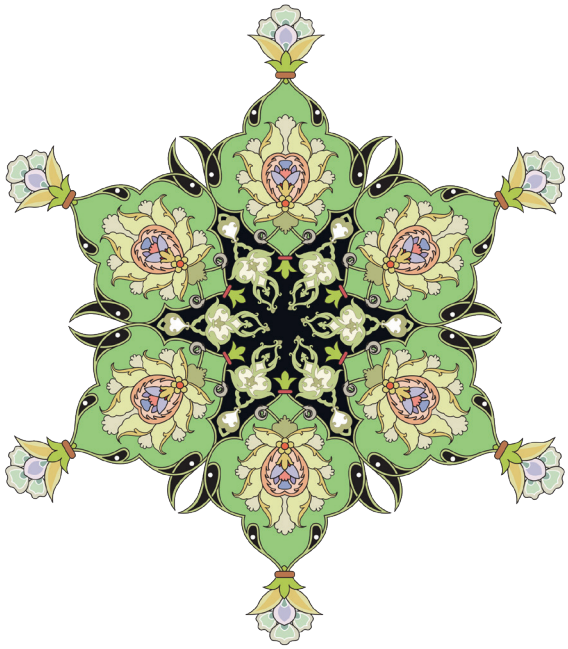

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. آفاق التَّناصيَّة، المفهوم والمنظور، مجموعة من المؤلّفين، تعريب وتقديم، محمد خير البقاعي، ط١، جداول، بيروت ـ لبنان، ٢٠١٣م.

٣. أسس علم لغة النَّصّ ـ التفاعل ـ النَّصّ ـ الخطاب، مرجوت هاينه مان، فولفجانج هاينه مان، ترجمه إلى العربية: أ. د. سعيد حسن بحيري، ط١، مؤسّسة المختار للنشر والتوزيع، مصر ـ القاهرة، ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م.

٤. الإشارات والتّنبيهات في علم البلاغة، ركن الدين الجرجانيّ (مُحمّد بن عليّ بن مُحمّد، ت ٧٢٩هـ)، علق عليه وضبط حواشيه وفهارسه: إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العملية، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٥. إشكاليَّة المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، د. يوسف وغليسي، ط١، الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت ـ لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

٦. أصول تحليل الخطاب في النَّظريَّة النَّحويَّة العربيّة ـ تأسيس "نحو النَّصّ"، محمد الشاوش، ط١، جامعة منّوبة، المؤسسة العربية للتوزيع، بيروت، تونس، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

٧. انفتاح النَّصّ الروائي، سعيد يقطين، ط٢، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ـ المغرب، بيروت ـ لبنان، ٢٠٠١م.

٨. الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزوينيّ (مُحمّد بن عبد الرحمن، ت٧٣٩هـ)، تح: د. عبد الحميد الهنداوي، ط٢، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٩. بحار الأنوار، الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام، العلامة المجلسي (المولى محمد باقر بن محمد تقي، ت ١١١٠هـ)، ط٤، مؤسسة الوفاء، بيروت – لبنان، ١٤٠٤هـ.

١٠. البرهان في علوم القرآن، الزركشيّ (بدر الدين مُحمّد بن عبد الله، ت٧٩٤هـ)، تح: مُحمّد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

١١. بلاغة الخطاب وعلم النَّصّ، د. صلاح فضل، عالم المعرفة، الكويت، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

١٢. تحليل الخطاب الشعري "استراتيجيَّة التَّناص" د. محمد مفتاح، ط٤، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ـ المغرب، بيروت ـ لبنان، ٢٠٠٥م.

١٣. تحليل الخطاب، النَّظريَّة والمنهج، ماريان يورغنسن، لويز فيليبس، ترجمة: د. شوقي بوعناني، مراجعة: محمد المومني، ط١، هيئة البحرين للثقافة والآثار، مملكة البحرين ـ المنامة، ٢٠١٩م.

١٤. التَّحليل اللُّغوي للنّصّ، كلاوس برينكر، ترجمة، وتعليق: أ. د. سعيد حسن بحيري، ط٢، مؤسّسة المختار للنشر والتوزيع، مصر ـ القاهرة، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

١٥. التَّحليل النَّصِّيّ ـ تطبيقات على نصوص من التوراة والإنجيل والقصة القصيرة، رولان بارت، ترجمة وتقديم: عبد الكبير الشرقاوي، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، ومنشورات الزمن ـ الرباط ـ المغرب، ٢٠٠٩م.

١٦. تشريح النص، عبد الله الغذّامي، ط٢، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ـ المغرب، بيروت ـ لبنان، ٢٠٠٦م.

١٧. التَّناص في الخطاب النّقدي والبلاغيّ ـ دراسة نظرية وتطبيقيَّة، د. عبد القادر بقشي، تقدم محمد العمري، ط، أفريقيا الشرق.

١٨. التَّناص، نظرياً وتطبيقياً، د. أحمد الزعبي، مؤسسة عمود للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٠م.

١٩. حفريات المعرفة، ميشال فوكو، ترجمة: سالم يفوت، ط٢، المركز الثقافي العربي، بيروت ـ لبنان، الدار البيضاء ـ المغرب، ١٩٨٧م.

٢٠. الخطيئة والتكفير من البنيويَّة إلى التَّشريحيَّة، نظريَّة وتطبيق، عبد الله الغَذّامي، ط٦، مركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ـ المغرب، بيروت ـ لبنان، ٢٠٠٦م.

٢١. دراسات في النَّصّ والتَّناصيَّة، د. محمد خير البقاعي، ط١، مركز الإنماء الحضاري ـ حلب، ١٩٩٨م.

٢٢. درس السيميولوجيا، رولان بارت، ترجمة: عبد السلام بن عبد العالي، تقديم: عبد الفتاح كيليطو، ط٢، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء ـ المغرب، ١٩٨٦م.

٢٣. الصَّحيفة السَّجَّاديَّة الجامعة، للإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، السيد محمد باقر، نجل آية الله السيد مرتضى الموحّد الأبطحي قدس سره، تح: مؤسسة الإمام المهدي عجل الله فرجه ط٥، قم المقدسة، ١٤٢٣هـ.

٢٤. صفوة الصِّفات في شرح دعاء السمات، الشيخ الكفعمي، (إبراهيم بن علي بن الحسن، ت٩٠٥هـ)، تحقيق: السَّيد حسين هادي الموسوي، ط١، العتبة الحسينية المقدمة، قسم الشؤون الفكريَّة والثقافيَّة، شعبة إحياء التراث الثقافي والديني، كربلاء، العراق، ١٤٣٩هـ- ٢٠١٨م.

٢٥. عُدَّة الداعي ونجاح الساعي، ابن فهد الحلي (الشيخ أحمد بن فهد الحلي، ت٨٤١هـ)، تح: مؤسسة المعرف الإسلاميَّة، ط٢، قم المقدسة، ١٤٢٥هـ.

٢٦. العلاماتيَّة وعلم النّص، مجموعة بحوث إعداد وترجمة، د. منذر عياشي، ط١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٤م.

٢٧. علم النَّصّ، جوليا كريسطيفا، ترجمة: فريد الزاهي، مراجعة: عبد الجليل ناظم، ط١، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء ـ المغرب، ١٩٩١م.

٢٨. القاموس الموسوعيّ الجديد لعلوم اللِّسان، أوزوالد ديكرو، و جان ماري سشايفر، ترجمة: د. منذر عيّاشي، ط٢، المركز الثقافيّ العربيّ، الدار البيضاء ـ المغرب، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧م.

٢٩. القاموس الموسوعي للتّداوليَّة، جاك موشلر ـ آن ريبول، ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين، بإشراف عز الدين المجذوب، دار سيناترا، المركز الوطني

للترجمة، تونس، ٢٠١٠م.

٣٠. لسانيّات النَّصّ، عرض تأسيسي، كيرستن آدمتسيك، ترجمه إلى العربية: أ. د. سعيد حسن بحيري، ط١، مكتبة زهراء الشرق، مصر ـ القاهرة، ٢٠٠٩م.

٣١. مدخل إلى التَّناص، ناتالي بييقي ـ غروس، ترجمة: د. عبد الحميد بورايو، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.

٣٢. مدخل إلى علم النَّصّ، مشكلات بناء النَّصّ، زتسيسلاف واورزنياك، أ. د. سعيد حسن بحيري، ط١، مؤسسة المختار القاهرة، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

٣٣. مدخل إلى علم النَّصّ ومجالات تطبيقه، د. محمد الأخضر الصبيحي، ط١، الدار العربية للعلوم ـ ناشرون، بيروت ـ لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

٣٤. مدخل إلى علم لغة النص؛ روبرت دي بوجراند، وفولفغانع دريسلر، إلهام أبو عزالة، وعلي خليل حمد، ط١، دار الكاتب، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

٣٥. مدخل إلى علم لغة النَّصّ؛ فولفجانج هاينه مان، وديتر فيهفجر، ترجمة، أ.د. سعيد حسن بحيري، ط١، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٣٦. مدخل لجامع النَّصّ، مع مقدمة خص بها المؤلف الترجمة العربية، جيرار جينيت، ترجمة: عبد الرحمان أيوب، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، بغداد، العراق. دار توبقال للنشر.

٣٧. المصباح في الأدعية والصلوات والزيارات والأحراز والعوذات، الشّيخ الكفعمي (تقي الدين إبراهيم بن علي بن الحسن بن محمد العاملي، ت٩٠٠هـ)، ط١، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

٣٨. المصطلحات الأدبيَّة الحديثة، دراسة ومعجم، د. محمد عناني، ط٣، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، مصر، ٢٠٠٣م.

٣٩. المصطلحات الأساسيَّة، في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دراسة معجميَّة، د. نعمان بوقرة، ط١، علم الكتب الحديث، جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع،

عمان، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٩م.

٤٠. المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومينيك مانغونو، ترجمة: محمد يحياتن، ط١، منشورات الاختلاف، دار العربية للعلوم ـ ناشرون، الجزائر، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٨م.

٤١. مطاردة العلامات، علم العلامات، والأدب، والتفكيك، جوناثان كلر، ترجمة: خيري دومة، المركز القومي للترجمة، ط١، القاهرة، ٢٠١٨م.

٤٢. المطوّل، شرح تلخيص مفتاح العلوم، التفتازاني (سعد الدين مسعود بن عمر، ت٧٩٢هـ)، تح: د. عبد الحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

٤٣. معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي (أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبو بكر، ت٩١١هـ)، ط١، ضبطه وصحّحه وكتب فهارسه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلميَّة، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٤٤. معجم المصطلحات الأدبيَّة المعاصرة (عرض وتقديم وترجمة)، د. سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت ـ لبنان، سوشبريس، الدار البيضاء ـ المغرب، ط١، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

٤٥. معجم المصطلحات البلاغية وتطوّرها، أحمد مطلوب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ـ لبنا، ٢٠٠٧م.

٤٦. معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو ـ دومينيك منغنو، ترجمة: عبد القادر المهيري ـ حمادي صمّود، دار سيناترا، تونس، ٢٠٠٨م.

٤٧. المقام الأسنى في تفسير الأسماء الحسنى، الكفعمي (تقي الدين إبراهيم الكفعمي، ت٩٠٥هـ)، تح: فارس الحسون، ط١، دار الهادي، بيروت ـ لبنان، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

٤٨. مناهج النقد الأدبي الحديث ـ رؤية إسلاميَّة، د. وليد قصّاب، دار الفكر، آفاق معرفة متجددة، دمشق، ٢٠٠٧م.

٤٩. مناهج النَّقد المعاصر، د. صلاح فضل، ط١، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، مصر، ٢٠٠٢م.

٥٠. من النص إلى الفعل، بول ريكور (أبحاث التأويل)، ترجمة: محمد برادة. وحسَّان بورقية، ط١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة. ٢٠٠١م.

٥١. نحو النَّصِّيَّة في دعاء السِّمات، قراءة تحليليَّة في ضوء خصائص نحو التكوين النَّصِّيّ، د. عماد جبار كاظم، مجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية ـــ جامعة واسط، العراق، العدد الحادي والأربعون، الجزء الثاني، ٢٠٢٠م.

٥٢. النَّصّ الغائب، تجلّيات التَّناص في الشعر العربيّ. دراسة، د. محمد عزام، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١م.

٥٣. النَّصّ والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة: أ. د. تمّام حسّان، ط٢، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

٥٤. نظريَّة التَّناص، جراهام ألان، ترجمة: د. باسل المسالمة، ط١، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، سوريا، دمشق، ٢٠١١م.

٥٥. نظريَّة النَّصّ، من بنية المعنى إلى سيميائيَّة الدال، د. حسين خمري، ط١، الدار العربية للعلوم ـ ناشرون، بيروت ـ لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

٥٦. النَّظريَّة والنَّصّ، كتاب جماعيّ، قدّم له: آ. كيبيدي فارغا، ترجمة: د. منذر عياشي، ط١، عالم الكتب الحديث، أربد ـ الأردن، ٢٠١٣م.

وهو السميع العليم
فسيكفيكهم